عَلَى عَتَبَاتِ النَّهَارِ

أم أنا أعمى ؟

فلسفة

دكتور فتحي المنيصير

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

رقم الإيداع 565/ 2024

دار الكتب الوطنية

بنغازي – ليبيا

هاتف : 9090509 –9096379 – 9097074

بريد مصور : 9097073

بريد الكتروني nat_lib_libya@hotmail.com

ردمك (ISBN) 978–9959–1–3477–6

الإهداء

إلى كلِّ عسراءٍ وأعسرٍ

سنموتُ

فارغينَ على أيةِ حالٍ

30 أكتوبر 2022

س 23:40

" وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا "

الإسراء 72

تقديم

وأنا أقف على عتبة الفجر، أقابل همسات الكون. يزحف ضوء الفجر الذهبي الناعم فوق الأفق، وينير الطريق أمامنا، ويذكرني بالإحتمالات اللانهائية التي تكمن في الداخل وخارجه. في هذا الفضاء الحدي، حيث يتلاقى الليل والنهار، أجد نفسي منجذبًا إلى عالم الفلسفة. فهنا، في سكون الصباح، يكون العقل أكثر تقبلاً لهمسات الروح.

في هذا الكتاب، أدعوك للانضمام إلي في رحلة لاكتشاف الذات، بينما أتنقل في تعقيدات التجربة الإنسانية. باعتباري متطفلاً على الفلسفة ، ولكنني طيارًا، وصيادًا وشويعراً ، أدركت أن السعي وراء المعرفة هو رحلة طويلة الأمد ، وهي رحلة تتطلب منا المغامرة في المجهول ، وتحدي افتراضاتنا، واحتضان جمال عدم اليقين. ومن خلال صفحات هذا الكتاب، سأشارككم تأملاتي في طبيعة العقل والمنطق، وأسرار الروح الإنسانية، والرقص المعقد بين الفرد والمجتمع. سوف أتعمق في عالم الأنوثة، مستكشفًا الطرق التي شكلت بها النساء فهمنا للعالم ومكانتنا فيه. وباعتباري طيارًا وصيادًا، سأستفيد من خبراتي لتوضيح أوجه التشابه بين فن الملاحة والسعي وراء الحكمة.

بدأت رحلتي إلى عالم الفلسفة منذ سنوات عديدة، عندما تعرفت لأول مرة على أعمال كبار المفكرين. لقد أذهلتني قوة أفكارهم، والطريقة التي بدوا بها وكأنهم يخترقون حجاب الواقع، ويكشفون عن حقائق مخفية وأنماط غير مرئية. وعندما تعمقت في كتاباتهم، بدأت أرى العالم في ضوء جديد، كنسيج معقد من الخيوط المترابطة، كل واحدة منها تنسج معاً لتشكل النسيج الغني للتجربة الإنسانية. لكن رحلتي لم تكن خالية من التحديات. كطيار، تدربت على الاعتماد على المنطق والعقل ، لتحليق في السماء بدقة وحذق . ومع ذلك، عندما حلقت عبر السحاب، بدأت أدرك أن الحياة تحتوي على ما هو أكثر من مجرد الحساب والسيطرة. رأيت جمال العالم بالأسفل، الطريقة التي يرقص بها الضوء عبر المناظر الطبيعية، ملقياً الظلال وكشفاً عن الحقائق المخفية. وعلمت أنه كان عليَّ استكشاف هذا العالم، والمغامرة خارج حدود مهاراتي واحتضان سر المجهول.

وباعتباري صياداً، تعلمت احترام قوة الطبيعة ، وإدراك حدود سيطرتي ، وتقدير جمال ما لا يمكن التنبؤ به. ورأيت كيف يمكن للبحر أن يكون هادئاً وهائجاً في نفس الوقت ، وكيف يمكن أن يسلم أسراره لمن يقترب منه بكل تواضع واحترام. وعلمت أنه كان عليّ أن أحمل نفس هذا الشعور من التبجيل إلى مساعي الفلسفية، لأقترب من أسرار الكون بإحساس الرهبة والعجب.

سأعتمد في هذا الكتاب على تجربتي كطيار وصياد لتوضيح أوجه التشابه بين فن الملاحة والسعي وراء الحكمة. وسوف أبين كيف أن المهارات التي طورتها في قمرة القيادة وعلى الماء . مهارات مثل الاهتمام بالتفاصيل، والقدرة على التكيف، والمرونة . تنطبق بنفس القدر على السعي وراء المعرفة والفهم. وسوف أبين

كيف أن الدروس التي تعلمتها من العالم الطبيعي . دروس مثل أهمية التواضع، وقوة الملاحظة، وجمال البساطة . يمكن أن تفيد وتثري بحثنا الفلسفي.

في نهاية المطاف، هذا الكتاب هو شهادة على قوة الروح الإنسانية، روح قادرة على التحليق إلى ارتفاعات كبيرة، والغوص في أعماق المحيط، واستكشاف أسرار الكون. إنه احتفال بجمال التجربة الإنسانية وتعقيدها، وتذكير بأنه بغض النظر عن المدى الذي قد نغامر به، فإننا نقف دائمًا "على عتبة النهار" ، مستعدين للشروع في رحلة جديدة من الاكتشاف والنمو.فتعال عزيزي القارئ وانضم إلي في هذه الرحلة إلى قلب الفلسفة. فلنغامر معاً، إلى المجهول، ولترشدنا همسات الكون في طريقنا.

طرابلس 13 فبراير 2023 م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1. بين العقلانية والمنطق

الحمد لله أقصى مبالغ الحمد ، والشكر لله من قبل ومن بعد. "إنَّ أعظمَ ما ينعمُ اللهُ بهِ على المرءِ ، أن يرزقهُ اليقينَ بعد الوعي الذي لا يجعلهُ يتوقفُ عن مساءَلةِ نفسهِ باستمرار ، ليستقرَّ في قلبهِ معنًى واحد للتوحيد ، فجعلَ الخيرَ في ثناياهُ ، وتلطّف بعبدهِ أن قدّره له ، فَيَكفُّ عقلُ الفرد عن التفكيرِ بشتَّى الأفكارِ التي تُرهقه ، فلابد أن ننظر إلى العقل على أنه الجسر لمعرفة الوجود وليس مرآة للحقيقة لأن مرآة الحقيقة هو الوعي فإذا وعينا بها ادركناها . فالعقل لا يرى الأشياء كما هي في الواقع بل كما تبدو من جانب واحد له وهو ادراكه أو عدم ادراكه ، يقول الله تعالى :" لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ "[1]. " متأثراً بموقعه الثقافي والاجتماعي ومنهمك بحالته النفسية الخاصة "[2]. فبعد الإدراك اليقين وهو أقصى درجات المعرفة . يقول الحق : " وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ". الحجر:99. أي المعرفة بعد الموت . واليقين معرفة الحق الذي هو من الأطايب . أما الأطيب فهو معرفة الله سبحانه وتعالى ، قال العارف بالله "مالك بن دينار" [3]رحمه الله : "خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها . قيل : وما ذاك ؟ قال: معرفة الله ". وكلما نضج العقل زاد وعيه وكلما زاد وعيه تبصر فإذا تبصر زاد إدراكه ، فإذا زاد إدراكه بلغ الحقيقة وعرفها يقيناً مطلقاً . وتكمن خطورة الوعي أنها تعرف المرء جيداً ، فيعرف نقاط القوة والضعف فيه وكيفية التلاعب به ، أعتقد أن الوعي يقوم بصناعة الأفكار والعقائد والأيديولوجيات ثم ينشرها في اللاوعي فيخلق بذلك رغبات وهمية من أجل تحفيز مضاد ، بالإضافة إلى أن توقيت صناعة الأفكار وأماكن نشرها هي مسألة حساسة جداً . وحين نتحدث مع العقل لن نقول له : أعتذر عن إزعاجك أو اعطنِ دقيقة من وقتك ؟ أو غير ذلك ؛ إنه يعلمُ كل شيء وإن كانت النوايا سيئة فلا تكرر كلماتك ؛ ولا يناضل العقل ضد اللامساواة والظلم وفظاعات الإنسانية لأنه طرف فيها دائماً ، فالإنسان الحر لا أخلاقي على رأي نيتشه . أي أنه هو من يفرض تجديد هذه المناهج ويدفع إلى التفكير في هذا الصدد وليس التركيز على نهج القطيع أو حتمية البنية الاجتماعية والقوانين الثابتة لها ، إن النظرية العقلية هي نظرية ترتكز على منظور الإفراط في الإنسانية وتبعية الشك لظروف غير حقيقية نؤمن بها ، ومنظور أخر يركز على الفعل والمعنى وما يقدمه الفاعل الفكري للبنية الإنسانية أكثر من استراتيجياتها ومشاريعها . وتَخْصِيصُ ما في القُلُوبِ لِأَنَّهُ الأَصْلُ لِأَعْمالِ الجَوارِحِ ، والجوارح شرعاً أطراف الجسم التي يستعملها الإنسان . يقول الحق سبحانه وتعالى : "وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ"[4].انسجاماً مع هذه النظرية ومن خلال هذا التحليل نجد قراءتين مختلفتين : قراءة تسلط الضوء على بنية العلاقات العقلية ، تناقضاتها وأزماتها وقراءة تهتم بالأفعال وتفاعلاتها مع الأزمات والتناقضات وحلها داخل اللاوعي في إطار تغيير فكري شامل ، إن تعميق الازمات وتناقضات العقلية من شأنه أن يساهم في ظهور وتطور

---

[1]–الأنعام 103

[2]– أبن خلدون في نظرية المعرفة

[3]– هو أبو يحيى مالك بن دينار البصري، من أعلام التابعين، قال الذهبي :علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين. ومن أعيان كتبة المصاحف، كان من ذلك بلغته، ولد في أيام عبد الله بن عباس، وسمع من أنس بن مالك في بلاده، وحدث عن سعيد بن جبير والحسن البصري وآخرين، وحدث عنه سعيد بن أبي عروبة وطائفة سواه. وثّقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري .وتوفي سنة سبع وعشرين ومائة للهجرة، وقال ابن المديني :سنة ثلاثين ومائة للهجرة.

[4]–العاديات 10

الطبقة الفكرية التي من شأنها الإطاحة بالنظام اللاوعي وتحقيق الانسجام بين العقل والايديولوجيا ، هذه الدينامية المؤدية لهذه الحالة لا وجود لها في الواقع اعتقد أنها نظرية محضة رغم الازمة الشاملة والمتعددة الأبعاد التي تعرفها العقلانية تبقى مفتتة ومنقسمة . فلا تعطي عقلك لمن لا يستحق . بالإضافة إلى هذا ، فالعقلانية نظام فكري مؤسس يتجاوز النهج الديني الذي يختزلها في نظام عقائدي محض ، يرتكز على قاعدة الآوامر والنواهي والعمل والثواب والعقاب ؛ ولإثراء هذا التحليل اقترح الأخذ بالاعتبار شروط غير محدودة تمنح العقلانية الحياة وتعيد إنتاجها . والعقل الناضج هو القادر على طرح الأفكار التي يريدها والتّرويج لها ؛ فإذا نضج عقلك تستطيع أن تغرد خارج السرب مستخدماً في ذلك خبرات وفنون الاتصال المتطورة وعِلم النّفس الحديث ، فيكون هادياً أو مضلاً في عباءة الكهنة يلبس الحق بالباطل ، ويخرج الزّيف في لباس الحقيقة ، وكتمان الحقيقة نفسها بهدف السّيطرة على وعي الجماهير ليكون "وعياً مُعلباً ". ذلك يعني أنه إذا اصطدم عقلان ناضجان فإن النتيجة ستكون مأساوية حتماً . وكلمة وعيٌ تتّسع لدلالات متباينة ، فقد تختلف طبيعتي وطبيعتك في الحكم على شيء واحد وفهمه ، تذهب أنت إلى تحسينه وأذهب إلى تقبيحه ، وقد تجنح فيه يميناً وأجنح فيه إلى أقصى اليسار ، فلا ضوابط تمنع هذا التناقض الخطير؟. إن كلمة وعي إذا أُطلِقت لا يصح أن يراد بها إلا الفطرة السليمة ، فإنّ كل خلل يلحق الطبيعة لأي سبب لا يجوز أن يُحسب منها ، ولا أن يُحسَب عليها . والخلاف قائم على نوعين : خلافُ تَقويم وتصحيح . وخلاف وجود وعدم . فالأول قائم في مُجمله إما على الفروع وتباين طرق التفكير وتنوع المدارس والثقافات والأفهام في تقديم الأولويات ، أو على النزاعات والصِدَامات الفكرية والعِرقية ومصالح دنيوية ، وأما الثاني فهو الأخطر والأدهى والأمر ؛ لأنه يقوم على ضرب ونَسف الأصول والثوابت ؛ والفِطرة التي خلق الله الناس عليها . والعقلانية هي اتباع العقل لبلوغ المعرفة . وليس اتخاذ المنطق مصدراً رئيسياً للمعرفة ذلك لأنَّ المنطق يتعارض مع الغيب ، في حين أن العقل يقودنا إلى النظرة المعرفية واختباراً للمعرفة والتبرير . بشكل أكثر رسمية ، تعرّف العقلانية على أنها المنهجية أو النظرية التي يكون معيار الحقيقة فيها فكرياً واستنباطياً وليس حسياً أو منطقياً . والعقلانية ليست مذهباً مغلقاً يضم فريقاً من الأنصار ، مثلما الحال مع الماركسية أو الوجودية أو الليبرالية مثلاً ، بل هي نزعة ومنهج فكري . يقول الحق سبحانه وتعالى في أول سور القرآن بعد الإستفتاح بالسبع المثاني : الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) [5]. ذلك الكتاب : القرآن . ومن قال غير ذلك فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع ، وتكلف ما لا علم له به ، على رأي أبن كثير [6]. " لا ريب " ، وهنا نقف حسب رواية قالون ، والمعنى: لا شك . وقد يستعمل الريب في التهمة قال جميل بثينة : قالت يا جميل أربتني ::: فقلت كلانا يا بثين مريب ، واستعمل أيضاً في الحاجة كما قال بعضهم "قضينا من تهامة كل ريبٍ ::: وخيبر ثم أجمعنا السيوفا" . ومعنى الكلام : أن هذا الكتاب وهو القرآن لا شك أنه نزل من عند الله ، وهو خبر معناه النهي ، أي : لا ترتابوا فيه[7] . ونكمل الآية : فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، يقول ابن كثير : وخصت الهداية للمتقين . وهذا هو ما يهمنا لأن الآيات التالية تحدد وتفصل من هم المهتدون ؟ تبدأ بالإيمان بالغيب وتنتهي باليقين به "الآخرة" . المنطق لا يقبل هذا الكلام لأنه يؤمن فقط بالأشياء الحسية والأدلة العلمية الدامغة . بيد أن الله لا يتجلى في الزمان والمكان ، فهو سبحانه لا يحويه زمان ولا مكان ، وهو فوق كل مكان ، بائن من خلقه ، مستوٍ على عرشه ، وعرشه في

[5]–البقرة 4:1

[6] –تفسير ابن كثير

[7]– تفسير بن كثير

السماء فوق جميع مخلوقاته ، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف . ويعتبر أرسطو أول من كتب عن المنطق بوصفه علماً قائماً بذاته ، وسميت مجموعة بحوثه المنطقية أورغانون ، فكان القياس في نظر أرسطو هو صورة الاستدلال ، ولكن بقيام النهضة الأوروبية ونهضة العلوم الطبيعية أصبح المنطق علماً مختلفاً نوعاً ما عن منطق أرسطو ، فظهر منطق الاستقراء الذي كان رائده فرانسيس بيكون واستكمله بعد ذلك جون ستيوارت ميل . هناك أيضاً جانب المنطق الرياضي الذي ابتدأه لايبنتس وعدّله برتراند راسل الذي ربط الرياضيات بالمنطق وجعلها امتداداً له[8] . يُعد المفهومُ الشكلَ المنطقي الأساسي في علم المنطق ، ويتم تحديد صحة المفاهيم من خلال شكلها المنطقي ، وليس عن طريق محتواها . ومن الأمثلة المنطقية الرسمية المنطق الأرسطي التقليدي والمنطق الرمزي الحديث . يقول بن خلدون عن علم المنطق : أنه علم يعصم الذهن عن الخطأ[9] . وفائدته تمييز الخطأ عن الصواب فيما يلتمسه الناظر ليقف على تحقيق الحق في الكائنات نفياً وثبوتا بمنتهى الفكرة . من هنا نود أن نعرف مفهوم الغيب ! ما معنى الغيب كي نفهمه من خلال المنطق ؟. الغيب هو الاعتقاد بأن جميع القيم المحسوسة لا أساس معنوي لها ، بل هي قيم روحية ستحدث لاحقاً بدون أي دلالات حسية ملموسة ، وأنه لا يمكن معرفة أي شيء في المستقبل الغيبي أو الاتصال به أو التبؤ به ، ويرتبط مفهوم الغيب عند البعض بالتشاؤم الشديد والشك المتطرف الذي يدين الوجود فهو بذلك يقترب من العدمية . فالغيب في مفهومه نقيض للعدمية الذي سيدمر أثارها المسببة للتأكل التي أشار إليها نيتشه . أي أن الغيب يعتمد على : " الإيمان والمعرفة والفطرة الإنسانية " ، فإذا نجونا من العدمية التي تدمر جميع تفسيرات الوجود يمكننا حينئذ أن نكتشف المسار الصحيح للبشرية . بذلك سيكون هناك الكثير من الاسئلة الإيمانية ، وهنا جاء دور الغيبيات ومدى أثرها على الحضارة ، والثقافة ، والقيم ، وعكست فلسفة العدمية التي كان لها أثر سيء بدون شك ، حيث أنها ولدت الكثير من الكآبة والشعور بالقلق ، والغضب والخوف إلى الرضا والطمأنينة لتبقى الأمور عقلانية ، فإن المرء يحتاج للمعنى المعبر عن جوهر الغيب ، والغيب هو كل حقيقة لا يدرك طبيعتها العقل أو لا يتعامل معها الإنسان بالحواس حيث لا سبيل إلى معاينتها أو الوقوف عليها ، لكنه يدركها كحقيقة ، كالملائكة والجن والشياطين والجنة والنار أو كالمستقبل وما سيقع فيه . والروح التي تحيي هذا الجسم عند الإنسان والحيوان هي من علم الغيب أيضاً ، ندركها كحقيقة لكن لا سبيل إلى معاينتها أو إدراك طبيعتها . والغيب هو ما خلف المنظور ما وراء الطبيعة ، أو ما يُعرّف بالميتافيزيقيا ، حتى يكون الإنسان قيمية فيزيائية في قوانين الطبيعة تفسره المادة وعلومها . هذا الإنخراط من المادي إلى المعنوي يحقّقه كل ما كانت له صلة بالنفس قبل الجسم ، العقلانية بصورة عامة هي أقصر الطرق لتحقيق هذا التوازن . فالعقلانية هي ألة الفكر وهي فن التفكير . قد نُطلق على العقلانية " الشك الإيماني " ، الذي يحتوي على مجموعة من الآراء التي تؤكد دور العقل فيما يخص الإيمان ، ومن المثير للدهشة أنه لدى الكثير من الأفراد مشاعر قوية للغاية اتجاه الشك الإيماني ، حيث أن يكون لدى كل فرد معرفة جيدة بالإيمانيات ، وحتى إنه يعلم الحقائق التي تتناسب مع العالم المادي . والشك الإيماني نظرة فوقية تقول إنه لا يوجد شيء إيماني أو غير إيماني حتى نؤمن ، وهذا ينطبق على كل شيء ، والأفراد الذين يتبعون الشك الإيماني يعتبرون أن الغيب تخيلات وأنه مجموعة معقدة من الصور والأحداث التي لا تتوافق مع الواقع ، ولكنها تعطي مزايا للأفراد نفسية ، واقتصادية ، واجتماعية . فإذا رجعنا إلى دروس التاريخ لتأكيد أن أنماط العقلانية كانت في الواقع

---

[8] – ويكيبيديا

[9] – https://www.kalimaquotes.com/ar/quotes

سمة بارزة من سمات الحضارات المنهارة . نلاحظ في كل من الحضارات الآفلة ، أن التقاليد الدينية والاجتماعية والسياسية أصابها الضعف وبدأت قيمها في الانحلال تدريجياً إذا تحطمت مثلها العليا . إن مكانة العقلانية كفنّ من الفنون تكمن في قدرتها على سبر أغوار المستقبل ، وهذه الوظيفة تعجز كل العلوم عن القيام بها . وعلى الرغم من القدرة الاستكشافية التي يتميز بها العقلانية في هذا المجال ، فإنها ظلت مرتبطة بشكل وثيق بالخطاب الديني . لكن وعلى الرغم من هذه القدرة الخارقة للإقناع الديني على اكتشاف أعماق الغيب ؛ فإن العقلانية تلقّت صدمات متتالية كنتيجة مباشرة للتأثير السلبي الذي مارسته العدمية في بعدها التقني فأدّى الاهتمام الحداثي بالمادي لإغفال المعنوي والطغيان على الإنسان وسحبه إلى عالم عدمي ينسحب منه الإله . ومن ركائز العقلانية أنها ترى أن الوجود بما في ذلك وجود الإنسان ، ذو قيمة ومحتوى أي مضمون ومعنى . وحسب هذا المذهب لا تنحصر العقلانية في أن يتذكر الإنسان بحدوده فقط فلا يستغل حياته استغلالاً عدمياً ، وبذلك ينضج فكر الإنساني نضجاً يرفعه من مرتبة الحيوان الذي هم أممٌ أمثالنا إلى مرتبة المؤمن المدرك لله ، والذي يرتب الفواصل المصطنعة بين العقل والمنطق . إن العقلانية كفلسفة تبحث في أصل الوجود ، تتمثّل في البحث عن كل ما هو إيجابي ، ومن جهةٍ أخرى تظهر كآلة فكر لكل ما هو إنساني ، ومن ثَم شحنه بأسباب الحياة والرغبة في الاستمرار . فاليأس الذي تحفل به العدمية ويستهلكه المولعون بها ينطوي في حقيقته على فلسفة إنكارية للحياة نفسها لا ترى من فكرها وسيلة لعلاجها وإنما لتحقيرها ورفع القيمة عن حقيقتها ، فما كنه هذه الفلسفة في البداية ؟ ثم ما مدى حقيقة ما تتبناه وتوافقه مع واقع الأمر؟ ؛ يرى المسيري[10] في دراسةٍ أعدّها حول نيتشه فيلسوف العدمية الأشهر ، أن العالم ما بعد ظهور العدمية قد انقسم إلى قسمين أولهما عالم تقليدي يتمركز حول الإيمان المتجاوز بوجود إله ، وهو ما يحفظ ثنائيات "المادة والروح" ، "الخير والشر"، "الجميل والقبيح" في وجود مستمر ، في تأكيد منه على اختلاف الإنسان عن الطبيعة وقدرته على تجاوزها لما هو وراءها . وثانيهما عالم آخر (عدمي/نيتشوي) ، ينسحب منه الإله تماماً أو يحلُّ في المادة فيصبح العالم بلا مركز ، ويتحول الإنسان فيه إلى جزء من الطبيعة فلا فرق بينه وبين كل الكائنات الطبيعية [11]،كما عبّر عن ذلك آرثر شوبنهاور[12] من قبل فلا يمكنه أن يتجاوزها إلى معانٍ (غيبية/إيمانية) ليحقق إنسانيته ، ومن ثم تعجز نفسه عن الإحاطة بها ؛ لأن الجزء لا يحيط بالكل ولا يتجاوزه على أية حال . السمة الأساسية لعالم نيتشه هي تصاعد معدلات اختفاء المركز داخل المادة حتى تتلاشى المسافة بين الخالق ومخلوقاته وبين الإنسان والطبيعة فتستحيل معرفة الأخلاق والمعاني النهائية [13]، فالمعاني تأتي من الإله ، وحين تختفي مركزيته تختفي معاني الحياة . إن النظرية العقلانية تطرح افتراضاً محورياً وهو : أن العقل يسبق المنطق ، وهو ما يعني أن الاعتبار الأكثر أهمية للفكر وليس للآلة بدلاً من قالب نمطي أو تعريف أو أي تصنيف مسبق يمكن وضعنا فيه "المنطق". من ذلك يجب أخذ المبدأ على أن الأفراد يتم تعريفهم بناء على أفكارهم وأنهم مسؤولون عنها . إنّ المنطق لا يتعطش للحقيقية أبداً فهو يبحث عن الإدلّة والبراهين أولاً ، ويبتعد عما لا يناسب ذوقه ، أقصد أنّ المنطق يأييد الخطأ ويُبنى على الأوهام

---

[10]– عبد الوهاب محمد المسيري (أكتوبر 1938 – 3 يوليو 2008)، مفكر وعالم اجتماع مصري مسلم، وهو مؤلف موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية أحد أكبر الأعمال الموسوعية العربية في القرن العشرين.

[10] – https://www.aljazeera.net/midan/intellect/philosophy سامح عودة

[12]– آرثر شوبنهاور أو شُبِنْهَوَر) بالألمانية(Arthur Schopenhauer :(22 فبراير 1788 – 21 سبتمبر 1860 م) فيلسوفٌ ألماني، أشهر أعماله كتاب العالم إرادة وفكرة الصادر .

[13]–سامح عودة المصدر السابق .

ويتعامل مع الأشباه ، والأسواء من ذلك فكرة يتبناها كل الناس ونحن الضحية دائماً . في حين ترجع القيمة الفكرية للمنطق إلى حرية الرأي ، إلا أن قيمته الأساسية هي الوجودية والأصل كمفهوم فلسفي . من وجهة نظري ، فإن نقطة بداية المنطق تتحدد بما يُسمى «الموقف المنطقي» كـ«الموقف الوجودي» ، وشعور بالإتزان في وجه عالم غبي بلا معنى . أنا عسكري محترف ولست إنساناً مجرداً أكثر مما يجب ومنعزل عن التجربة الإنسانية المحسوسة . ما يعني أنني أُبدّل الأدوار المرتبطة تقليدياً بالعقل والمنطق دون البحث في هذه المفاهيم وتاريخها . وهكذا فإن محصلة المنطق تكون عبثية وتشير فكرة أنه لا يوجد معنىً خلاف المعنى الذي نريده . يتضمن انعدام المعنى ذلك أيضاً انعدام الأخلاق و«انعدام العدالة» . إن المفهوم المنطقي نراه من زاوية تجعله مضاداً لمفهوم الدين الذي يعطي قيمة روحية ومعنوية لحياة البشر . أن تفكر بعبثية يعني أن ترفض الحياة التي تبحث عن معنى للوجود لأنه لا يوجد شيء لتبحث عنه . طبقًا لألبير كامو[14] ، فإن البشر ليسو عبثيين في ذاتهم [15] ، وأنا أنحو هذا النحو لأن الله هدنا . يقول الحق سبحانه وتعالى : " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً "[16] ، والآية الأخرى " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ "[17] ؛ تشكل إمكانية اعتبار كل شيء منطقي تهديداً حقيقياً لفكرة النظرية العقلانية ، والتي يجب أن تتخذ موقفاً مضاداً للفلسفة الوجودية ، يُقال أيضاً أن إمكانية التفكير تجعل كل البشر عقلانيين . البطل الأعلى للعقلانية سيعيش الحياة بكل معانيها ويواجه المصاعب دون الاستسلام لها . وإنما ينشأ مفهوم العقلانية فقط عن اجتماع الاثنين ، إذن تصبح الحياة عقلانية بسبب التوافق بين الأفراد ومحيطهم الذي يسكنون فيه . بمثل هذا الرأي سيكون أحد التفسيرين للعقلانية في الأدب . ينص الرأي الثاني على أن العقلانية ليست مقصورة على أفعال واختيارات البشر ، لأنها لا تنبعث من حرية البشر ، بل من الإرادة الإلهية التي تُضعف أساسهم خارج ذواتهم . أي أن العقلانية تيار فلسفي يميل في جوهره إلى المقولة : " أنت حر ما لم تضر " ، مشروطة بكل المسؤوليات والقيود في التفكير والممارسة . وبالتالي فهي تقترب من الوجودية حين تؤكد على تفرد الإنسان كونه صاحب تفكير حر وإرادة حرة واختيار لا يحتاج إلى موجه . وتبتعد حين لا تجبره من التخلص من كل موروث عقائدي أو أخلاقي يؤثر على رغباته وطموحاته الذاتية كي يمارس حياته بحرية مطلقة دون أي قيد . والعقلانية تعني من اتجاه آخر أن الإنسان مخلوق وليس موجود ، ماهيته تحقيق ذاته الإنسانية في كتلة اجتماعية مهما كانت مرجعياته دينية أو عرقية أو سياسية ، فماهية الفرد من وجهة نظري أن يحقق ذاته قبل أن يحقق أفعاله عن طريق وجوده ، دعونِ أطرح الفكرة بطريقة أخرى ! هل إذا حقق الإنسان ذاته عرف حقيقة الوجود ، ولهذا هل هو مخلوق أو موجود ؟ أولاً ، ثم تتحدد أفكاره ما هيته ابتداء من وعيه ثانياً . ولكن هذا التأكيد في العقلانية ليس أكثر من دعوة خادعة كي يحقق الإنسان ذاته أو يؤكد خلقه . ولكي يحقق أو يؤكد الإنسان نفسه في الفهم الوجود عليه أن يتحلى بالقيم وينطلق لتحقيق رغباته قبل شهواته بقيود تلك القيم . وعلى هذا الأساس يبدأ فهم معنى العقل عبر الدخول بالتجربة التدبر الفردية الداخلية القائمة على التخيل والأحاسيس الداخلية المشبعة بعواطف ورغبات روحية بحتة ، لذلك فالفرد العقلاني يقوم بمعايشة الواقع فكرياً أكثر من معايشته وجدانياً ، ومن خلال هذه المعايشة مع الواقع للذات متعطشة لمعرفة الحق يبرز عنده اكتشاف المعاني الأساسية في الخلق الإنساني والكوني ، وهي معانٍ تمثل : الكينونة والأبدية والحياة والمغفرة ، والأمل والإيمان والسلام ، ثم القلق الأخلاقي . إنها

---

[14] – لبير كامو–) بالفرنسية(Albert Camus : (7 نوفمبر 1913 – 4 يناير 1960) فيلسوف عبثي وكاتب مسرحي وروائي فرنسي.

[15] – ميكيبيديا

[16] – الإنسان 3

[17] – البلد 10

بتعبير آخر فلسفة الحياة . وتتميز العقلانية الديكارتية[18] بكونها عقلانية قطعية يقينية لا تستند إلى الاحتمال ولا وسط فيها[19] . فالعقل عند ديكارت دوغمائي لا يؤمن بالوسط بين الشك واليقين . فإما أننا نخطئ ونقع ضحية الخطأ ، وإما أن نصل إلى اليقين . لذلك فالعلوم عنده إما مركبة أو بسيطة . وهناك نظامان كما سبقت الإشارة : نظام الأشياء ونظام العلل ، وهذا الأخير نوعان : نظام تحليلي : تتميز أحكامه بكونها بسيطة يقينية بديهية وصادقة ، كما هو الحال في الهندسة وفي الحساب . ونظام تركيبي : لأن الأحكام التركيبية غير يقينية وأقل بديهية ، كحال الفلك أو الطب . ودشن ديكارت الشك بالحواس وانتقل إلى النوم واليقظة ، وانتهى بالحقائق الرياضية . وكان يعتقد دوماً أن هناك إلهاً كليُّ القدرة والاستقامة وهو خالق الإنسان على ما هو عليه . وهكذا نرى اتفاق ابن حزم في آرائه مع الفلاسفة في بيان وظائف الحواس واعتبارها وسائط للعقل في حدوث المعرفة ويعمل العقل لتعبئة المخ ؛ أمّا الإيمان فيقع في القلب ، والحواس هي أداة الوصل بين العالم الخارجي والعقل الذي يُعمل الجوارح من حالات المقابلة بين الأشياء حالتين يمكن الخلط بسهولة بينهما إستناداً إلى المعطيات التعريفية العامة المتداولة بين الناس دون أن يكون من السهل التفريق بينهما دلالة وهما حالتي الحواس والجوارح ، أو من يقول أن لكل حال هناك نقيض له ويعدون النقيض كالضد تماماً وهم يستعملون أحد المصطلحين بدل الأخر على وجه التسامح والبساطة . والحقيقة أن لكل منهما حدود دلالية ومقاصد معنوية تكشفها حالات الحس والفعل بالواقع العملي والمعرفي العلمي أيضاً وهو مجال علم الكلام والمنطق ، فالشم هو حس عقلاً كما هو المشي فعلٌ بلا شك ، ولكن هل يمكننا أن نقول أن المشي هو حاسة ؟. إذا قلنا نعم فما يمكن لنا أن نصف اللمس الذي يقع بينهما ؟. فأردت أحدهما طولاً والثاني قُصراً ، فهما متضادان وقد يقال إذا خالفه فأراد وجهاً يذهب فيه ، ونازعه في ضده : هو مضاده ، للذي يريد خلاف الوجه الذي تريده ، وهو مستقل من ذلك بمثل ما تستقل به . يتبين لنا أن الضد له شروط حتى يكون ضد بالمعنى الحقيقي ، الحواس والجوارح لا بد أن يكون كل منهما في محل الصفة الاسمية له أي في أعراضه الخارجية وما ترسمه من ماهية خاصة به ولا تتعلق بالجوهر التكويني ، فالشم هو كموجود هو ما تحلله تفاعلات الدماغ إستناداً إلى نوعية المادة ، والمواد في أصل جوهرها مختلفة ، وماهيتها الجوهرية وما يتبعها من أعراض الخارجية هي التي تعطي ماهية الشم هي التي يقع فيها التضاد وليس في أصل المادة . إن الحواس والجوارح على طرفين من نقطة العقل المطلق التي تجمع الصفتين فيتلاشى أثر الصفتين عندها ، وكلا الطرفين متساويين في القيمة من العقل المطلق ومختلفين بالإتجاه على خط واحد . ولا يمكن الجمع بينهما في أطار واحد أو في محل واحد ، رغم أن جمعهما ليس مستحيلاً ولكن الجمع بينهما يساوي العقل المطلق يعني لا شئ ، والعقل المطلق بين الحالين لا يثبت لأحدهما دون الأخر فيفقد الضدان الماهيات التمييزية بينهما ويصبحا شيءً أخراً لا صلة له بهما . لا تثبت الحواس إلا بوجود الجوارح ولو أنتفى أحدهما أنتفى وجود الأخر تحصيلاً حاصلاً ، فلو لم يكن الأنف موجوداً لما استدللنا على وجود المسك ، وبغياب الجلد لا يُعرف للدفء معنىً فهما متلازمان عقليان ومنطقيان تلازم وجود . إن التضاد بين صفات الحواس الخمسة والجوارح التي هي أطراف الجسم إنما يكون في المحل الواحد لا في المحلين ، أي أن الصفة التي هي محل التضاد يجب أن تكون ثابتة لماهية واحدة ولا يمكن أن تكون لأكثر من محل ما هو ، فمن كان موصوفاً بالدفء تكون ضادته البرد ، ومن كان

---

[18] – رينيه ديكارت) بالفرنسية(René Descartes : (31 مارس 1596 – 11 فبراير 1650)، فيلسوف، وعالم رياضياتي وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ''أبو الفلسفة الحديثة''.

[19] – العلوي رشيد / جريد الشرق الأوسط الألكترونية / عدد 4 فبراير 2016 / https://aawsat.com/home/article/559701/

موصوفاً بالبرد ضاده الدفاء ، وحسب عباس علي العلي[20] فإن الله سبحانه يمتنع أن يكون ظلمة أو موصوفاً بالظلمة ،كما يمتنع أن يكون ميتاً أو موصوفاً بالموت . فهذا المعترض أخذ لفظ الضد بالاشتراك بين ماهيتين ، ولم يميز بين الضد الذي يضاد ثبوته ثبوت الحق وصفاته وأفعاله ، بين أن يكون في مخلوقاته ما هو موصوف بضد صفاته . وبين ما يضاده في أمره ونهيه ، فالضد الأول هو الممتنع ، وأما الآخران فوجودهما كثير ، لكن لا يقال : إنها ضد لله فإن المتصف بضد صفاته لم يضاده . فالمتضادان وما هو بديهي أنهما لا يجتمعان في الشيء الواحد ، وفي ثلاثية القلب والعقل والنفس تشكل وعي الإنسان وفق منطق متدرج أساسيات الوجود ، فالقلب لم يكن نتاج طبيعي لمجرد التكوين والحدوث الوجودي كبناء خلقي ، موجوداً ولكن على ماهية مجهول لأن محتواه يختلف من فرد لأخر ، لكن دلائل وجوده هي التي تحرك العقل ليكتشف أوليات الأولية اللازمة لأنتباهه ثم تحسسه ثم إثارة فضوله للتفكير ثم التجريب ثم البحث والتقرير ، ويتدرج مرحلياً حسب تسلط يربطه بالوجود وهي " النفس" حتى يصل للمعرفة اللازمة لبداية رحلته نحو الوعي ، هذه الثلاثية المختصرة هي التي تقود الإنسان منذ النشأة حتى تتغير المعادلة لربما في وقت تاريخي ما ليظهر عامل مستجد تظهر بوادره ولها إرهاصات روحية بينه وهو ما يعرف " ما وراء الوعي " أو هي " البصيرة "، العقل الناضج يبحث عنِ الـ " ما وراء " دائماً ، عن ما بعد وبعد الوعي والأحتمال التأملي والتنظيري ليخرق جدار النفس بمستويات عدة ومن زوايا مختلفة . هذه الفكرة ليست في الحقيقة تغير في مسارات المنطق الوجودي بقدر ما هو تغيير في طريقة فهمنا لقيمة الفؤاد : " القلب والعقل " ، يقول الحق سبحانه وتعالى : " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ "[21] . الذي هو المعنى الذي نسعى له من خلال وجوده ، ويقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد أي : التوقد ، ولن يتوقد القلب بدون العقل ولا يمتلء المخ إلا بعمل العقل . وجمع الفؤاد : أفئدة. قال الحق : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾[22] ، ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾[23] ، أي أن عقولهم وقلوبهم خالية ليس فيها شيء لكثرة الخوف والوجل من هول ما رأوْ . إن هذه الثلاثية هي جوهر بناء الوعي . لا نستطيع أن نسقط أي ركن منهم أو نقول ذلك أهم من هذا ؛ إنني أحاول إعادة النظر في المداخل التأسيسية للرؤية النظرية العقلانية ، والتي ظلت سائدة إلى الآن ، واقترح إذ ذَّاك تجديداً نوعياً يتأصل على المنهجية المعرفية التي منطقها التحليل المعرفي إن صح التعبير ، بوصفه المعادل الموضوعي للوجود وحركته ، وتصبح الغاية هي الاستيعاب والتجاوز ، وبهذا فقط يتحقق التجديد ، وتعد إشكالية التجديد من أهم الإشكاليات التي شغلت المفكرين المعاصرين ، جمع الغيبية والجدلية ، ولا محيد عن إحداها والتفكير خارجها ، فالعقل كما أسلفنا ينطوي على البعد الغيبي بشتى أشكاله كما ينظر في الطبيعة متدبراً محاولاً بلوغ الحقيقية وما ورأها وفاهماً لسننها ، وعليه لا مناص من الكونية التوحيدية بين هذه الأخيرة ، ولا حجة للوقوع في الرؤية التجزيئية ، ومادام العقل مهيمناً على سلطتين الغيب والجدلية فأنه في الطرف المقابل مُهيمَن عليه من طرف الوعي واللاوعي ، ومهيمِن هو على النفس من طرف تسخير الغيب له فيها وهنا نتساءل : كيف نرى التجديد ؟ ثم ماهي أبرز تطبيقاته الميدانية كرؤية تجديدية في التعامل مع التنزيل الكريم والمطلق؟ ؛ أولا : في مفهوم العقل التحليلي لم يكن العقل أكثر

---

[20]- الدكتور عباس العلي : باحث ومفكر معرفي متخصص بدراسة الفكر الديني عام والاسلامي خاص بروح نقدية مجردة من تراكمات الرؤية التقليدية

[21]- الحج 46

[22]- إبراهيم 37

[23]- إبراهيم 43

فاعلية وبروزاً إلا وهو على حال ممارسة فعل العقلانية ، والعقل في اصطلاح الجرجاني[24] في معجمه هو :" قوة في النفس الناطقة "، ولكني أخالفه الرأي فالنفس هي : قوة الفؤاد " القلب والعقل " ووقود الروح ، وهو صريح بأن القوة النفس العاقلة أمر مغاير للنفس الناطقة ، أي أن النفس هي البصمة الشخصية التي تميز كل إنسان عن إنسان أخر ، فهي قوة الذات وحضور الشخصية للفرد ، وقيل : العقل " ما يُعقل به حقائق الأشياء "، وقد أشار طه عبد الرحمن[25] إلى أن العقل هو فعل لذات وليس البتّة اسماً لها وهو أقرب من وجهة نظري ، استدلالاً بالآية الكريم ، في قوله تعالى: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ "[26] ، وفي اعتراضه على دعوى ذاتية العقل بحكم اقتضاء تشيُّئه ، ذهب للحكم بأن العقل فعل لِذات في الصدر وهي القلب ، تماماكما أن السمع فعل للآذان والإبصار للأعين وهكذا . وهنا أُشير إلى ضرورة العقل الناضج الرافض للمعرفة البائدة ، حتى لو كانت تلك المعرفة مقدسة ، نستبين أن العقل لابد له من التجدُّد وبتجدده يتجدد القلب ويعيد هيكلة نفسه ليظهر الفؤاد بثوب جديد ، وتبقى النفس ممددة بينهما ، لأنه ليس من الحكمة أن يطمئن الإنسان لبلوغ الكمال الذي يحتمل جدلية الصدق والكذب . وبهذا فالمقصود بالعقل الناضج هو العقل الذي يصل بك إلى الحقيقية الكاملة مهما كان هذا الكمال من حيث مصدره وصفته ، إذ ما دام العقل مُقتدراً على التدبر؛ فلا بأس بتطبيق ذلك على كل شيء قابل لذلك ، وبمعنى آخر يصبح العقل علمياً ومنطقياً وليس مجرد عقل خطابي وسفسطائي . لكن هذه الفكرة ستفضي إلى الجمع بين استخدامات العقل والفلسفة معاً ، فالنظرية العقلانية مصطلح كلاسيكي يعني نظرية المعرفة في مباحث الفلسفة العامة ، فالتدبر المفتقر إلى الوعي لا يوصل إلى نتائج محمودة ، وبالتالي لا يتسنى للمتدبر اعتناق الغيب الذي هو كل واحد ، وفي جدلية مستمرة مع الإنسان والطبيعة . إنها رؤية توحيدية للعقل تعامله الدؤوب مع القلب لترويض النفس ، لكن هذه الممارسة لا تتأتى هكذا عبثاً وصدفة ، بل تنطلق أولاً وقبل كل شيء بالوعي والإدراك عبر مقومات الوعي الإنساني (السمع والبصر والفؤاد) ، وصولاً إلى جدلية والغيبية ، وهكذا ننظر إلى كل المجريات من خلال الغيب والجدلية ، فالحقيقة هي إضافة تراكمية لما قُدّم من قبل ، وعليه فعمل المجدد بهذا المنطق التحديثي لا بد أن ينطوي على التحليل كعصب أساسي في مشروعه العقلاني ، ولعل نظرة الانسان للوجود هي الأهم في حياته مقارنة لنظرته لأمور فكرية أخرى بل إن فلسفته تجاه الوجود قد تكون المفتاح الأهم لعلاقته بالفلسفات تجاه أمور الدنيا الأخرى . وحتى يضمن الفرد فلسفة راسخة عن وجوده هل يجب عليه أن يكون على دراية بعمل وتركيبة وآفاق هذا الوجود وهو نفسه لا يعرف نفسه . بغض النظر إن قلنا إن الوجود هو الأقرب للواقع المادي الذي وصلنا إلى معرفته اليوم إلاّ أن الجدل الفلسفي الحقيقي يقول أن الطبيعة الكون تشتمل على جزأين هما الوجود والخلق . وإن الوجود انساني بينما الخلق إلهي! وبما أن الوجود إنساني فقد يتلوث بالذي يسكنه وأنه يمكن أن يصبح مفتوناً بالرغبات واللذات وعندها ستعاقب . حيث أن كل من الوجود والخلق له كينونته الخاصة : الوجود هو مكان سكن وموت لذلك يجب أن تبحث عن الحقيقية عن الخلق . إن الخلق لا يحل عشوائياً في الوجود بل إنه كمال أول له ، وأن الوجود لا يمكن أن ينفصل عن الخلق

---

[24]- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد الجُرْجَانِيّ (400 - 471هـ/1009- 1078م) نحوي ومتكلم في الشعر والأدب والنحو وعلوم القرآن، وُلِد في جرجان ببلاد فارس.

[25]- طه عبد الرحمن "1944بالجديدة"، فيلسوف مغربي، متخصص في المنطق وفلسفة اللغة والأخلاق .ويعد أحد أبرز الفلاسفة والمفكرين في مجال التداول الإسلامي العربي منذ بداية السبعينيات من القرن العشرين.

[26]- الحج 46

ذاته . حين يقول أن الخلق هو فعل بالنسبة للوجود . إن الفهم المادي للعلاقة بين الخلق والوجود يزداد رسوخاً مقارنة بالفهم الغيبي . وهنا من ضرورة أن نفهم في هذا السياق وأن نكون على القناعة الدينية وخصوصاً لدى المسيحية والاسلام عن كل من الوجود والخلق وخصوصاً إذا بدأنا بسقراط الذي كان متأثراً بالفكر الفيثاغوري الاقرب الى الديانة . ولا شك أن كل من الديانتين يقتربان من المفهوم الثنائي الوجود والخلق ويبتعدان في التوحيد . إن الوجود آثم ومذنب دون انفعال ودون متعة . دون التصدي للدائرة الفسيولوجية في قمة رغبتها التي هي أكبر تصعيد في مواجهة وحدانية الوجود . بمعنى الوجود والخلق هما جوهران متمايزان وظيفتهما الأساسيتان هما الفكر والتوحيد لتحظى النفس بمزية تزويد الوجود الإنساني أما الوجود فإنه يختزل إلى مادية امتداده . والخلق من إرادة الله وردت في القرآن الكريم 8 مرات . المعنى أن الله لا يتعاظم على قدرته شيء ، فإذا ما أراد فعل شيء فإنما يفعله ويخلقه بأمره الكوني له : كن ، فلا يتأخر ذلك الشيء الذي أراده ، بل يكون من فوره . قال الحق سبحانه وتعالى: " إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ "[27]. إن فكر ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا يميز بين الوجود والخلق وبنفس الوقت يؤكد على اتحادهما ولكن كيف . إن الوجود لا يتحد مع مادة الخلق بل يتحد بوظائفه ، وهكذا لن أغمض عيني ولن أصم أذني ولن أصرف حواسي : " أنا أفكر فأنا مخلوق ". أي أنهما تعبيران متمايزان لجوهر واحد فكل ما يجري في الاول يكون بإرادة . ويطرح « جيبسون »[28] الفضاء الرقمي ليقول : (لم يعد الجسم يحتل إي مكان) . تكمن الأهمّية الفلسفية لهذه القضية في بيان مدى نجاعة العقلانية في معالجة مشكل قديم لكنّه وضع بمفاهيم جديدة ومدى تأثير هذه العقلانية من خلال هذه القضية على الفلسفة . أنا أفكر بسطوة الفؤد والإيمان على نفسي . ربما نلامس بصفة سلبية وغير مباشرة مدى تأثير هذه المسألة على العقلانية . هذه تأملاتي تحمل عنواناً يتضمّن ضرورة التّميز بين الوجود والخلق ، في التأمّلات يقرّ ديكارت أن الشيء الذي يبقى قارّاً ولا يمكن للشك أن يضعه محل ريب هو الفكر كونه صحيحاً أو خاطئاً لا يهم ، فقط فكر محض أي مستقل ومتميّز عن الخيال ، وبعيداً عن كل ما قد يوجد في النفس من أهواء [29]، أعتقد أن العقلانية هي ألة الفكر التي تميز ما في النفس عما هو مخالف لهذا الفكر . فإذا كانت النفس مملؤة بالإيمان فإنها تحتاج إلى الفؤاد ليوجد الفكر وليس العكس ، لأنها الأوضح والأكثر تميز ووحدة وثبات من الفؤاد . هذا هو الجوهر الذي نبحث عنه بالإضافة إلى الجوهر المادّي للوجود ، لأن الخلق غيبي والصور الجوهرية لكونه غامضة ليست خاطئة ولكنها فوق الخيال البشري فوجب التخلي عنها ، إنها غاية جدالية لا برهانية منطقية . إن الأفكار تنتج عن تفعال الفؤاد والنفس ، وتتكون النفس من تخلل الروح للجسم . " إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ "[30] ؛ هكذا باختصار يحدث الخير والشر ؛ إذن فالفكر ليس مستقل عن الجسم وغير متعالٍ عليه . كيف للفكر أن يبرهن على وجود الوجود المادّي وأنّ هذا الموجد موجود ، والبرهنة عليه تكون برهنة من نوع خاص أي تحتاج إلى قنوات الحواس والجوارح ، كل قيمة عقلية ونفسية مرتبطة بالجوهر المادّي الذي يعطينا مجموعة الأجسام المادّية المعروفة ، أعتقد أنه هناك جوهر خلقي واحد ومجموعة لا متناهية من الجواهر الوجودية المادّية التي تخضع كلّها إلى نفس المفهوم . إن علاقة الوجود بالخلق لن تنتهي بعد أن نكتشف

---

[27]- النحل 40

[28]– استخدم مصطلح الفضاء الإلكتروني للمرة الأولى ويليام جيبسون (William Gibson) وهو كاتب في الخيال العلمي وبالأخص في نوع الأدب الذي يعرف باسم الشر الإلكتروني / ويكيبيديا.

[29]– علي الشنوفي : بحث في تاريخ الفكر الفلسفي 15أكتوبر 2015 ، https://www.facebook.com/philo.31/photos/

[30]– يوسف 53

الخالق الحق كفكر ، وأنّ ماهيته فكرية ، وأنه جوهر "ذاتٌ" مستقل لا بداية له ولا نهاية "أبديٌ" ، ولأنّه وجد من الفكر ، يأمرنا الحق باستخدام الفكر كي نصل إلى الحقيقة ونتعرف عليه ، تأمل معي "أفلا تعقلون" : ثلاث عشرة مرة في القرآن ، "لعلكم تعقلون" : ثمان مرات في القرآن ، "إن كنتم تعقلون" : مرتان ، "أفلم تكونوا تعقلون" : وحيدة في يس 62 ، تعقلون : أربع وعشرون مرة ، "أفلا يعقلون" : وحيدة في القرآن "وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ" يس 68 ، يعقلون : اثنتان وعشرون مرة ؛ تتفكرون : ثلاث مرات في القرآن ، مرتان " لعلكم تتفكرون " في البقرة ، ووحيدة " أفلا تتفكرون " في الأنعام 50 ، تتفكروا : وحيدة "ثم تتفكروا ما بصاحبكم " في سبأ 46 ، يتفكرون : إحدى عشرة مرة في القرآن ، يتفكروا : "أولم يتفكروا" مرتان. سؤال ما الفرق بين أفلا تعقلون ، وأفلا تتفكرون في القرآن؟ عقل الشيء : أدركه ، وعقل المسألة ، أي : فهمها والعقل مرتبط بالحواس أي أن العقل يدرك عن طريق الحواس ، قال الحق سبحانه وتعالى : " صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُون "[31]. فإن فقد إنسان حَوَاسَّه السمع والنطق والبصر فلن يعقل . وفَكَرَ في الأمرِ: أَعْمَلَ العقْلَ فيه ورتَّبَ بعضَ ما يعلم " أفكاره " ليصَل به إلى مجهول. وفكّر في الأمر : تفكَّر فيه ، تَأَمَّلَه ، أَعْمَلَ الْعَقْلَ فيه ليصل إلى نتيجة أو حَلٍّ أو قرار . فإن العقل يعي بالحواس ويدرك المعارف ويخزن المعرفة . أما الفكر فإنه يكون بإعمال العقلانية في العقل الذي تخزنت فيه المعارف ، فيربط العقل بالتفكير والتأمل بين هذه المعارف والخبرات والأسباب حتى يصل إلى نتائج وابتكارات واختراعات . إن هذا الجوهر المتناهي المستقل البسيط موجود في علاقة ما مع الوجود وذلك عن طريق الشعور بالخلق ، إنّ هدف العقلانية الوصول إلى الحقيقة بإعمال العقل والفكر بغض النطر عن المنطق الذي لا يؤمن بالغيب ؛ وبطبيعة الحال لا يمكن للعقل المتمدن إلا أن يميز بين الفكر والوجود وفي الفكر نفسه بين الأفكار التوحيدية والأفكار العدمية ، وإلى وجود علاقة بين الوجود والخلق . إن الحقيقة فلسفة متكاملة وهي تشكل وحدة مترابطة ، وينبغي أن تؤدّي إلى سلوك فردي واجتماعي مترابط ، ولذا يجب أن نضع علاقة الوجود بالخلق على مستوى آخر لا يكون متناقضاً مع نتائج العقلانية بل مكملاً لها . إن توحيد الوجود والخلق يتضح من ضرورة فهم فردية الخالق ، إن تمييز الجواهر وتفرده أن يفسّر فردية الخالق أي نرى تعامل امتداد الخلق "الكون" مع الفكر. إذن نبحث في وحدانية الخالق لفهم كائنات أخرى وليس الإنسان فقط ، فالإنسان من حيث هو خلق يخضع للتّحديد العام الذي يعطيه ديكارت للجسم كامتداد ، ومن حيث هو روح يخضع لتحديد النّفس كفكر محض وخالص . كيف يتفاعل إذن ، هذان النّوعان من الجواهر في الإنسان بالذات ؟ لتفسير الحياة هناك مبدأ عام يمكنه من بيان علاقة الوجود بالخلق وهي علاقة المادّة بالغيب . فجوهر الكائن الحي بصفة خاصّة متكوّن من صورة ومن مادّة ، يقول الحق سبحانه وتعالى: "فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ"[32]، أي أن حياة الكائن هي ما تتأتّى دائماً عن طريق إضافة الصورة للمادّة حسب أرسطو . إن كلمة جوهر تعني دلالات كثيرة وأنّ تحديداتنا لن تكون شافية لأننا لا نستطيع تعريفها بدقة ؛ أعتقد أن لكل جوهر صورة وإلا لا نستطيع أن نصفه بأنه جوهر . يقول أحد الفلاسفة العرب الحاليين[33] : " وذلك خاصّة عندما يريد أن يفسّر الجواهر الجسمية الملموسة وبصفة أخصّ منها جواهر الكائنات الحيّة فنحن نستطيع أن نقول مثلاً أن الله جوهر بمعنى صورة فقط مستقلّة تماماً عن المادّة بل ونقول أكثر من ذلك أن الله هو الجوهر الأول لأنه جوهر تخلص تماماً من المادة فهو قد يعتبر من هذه الزاوية المحرك الذي لا يتحرك أو الفكر الذي يفكر في نفسه فقط لا يفكر في شيء خارج ذاته . وبهذا المعنى يعتبر الجوهر الأسمى هو

---

[31]- البقرة 171

[32]- الإنفطار 8

[33]- لم أعثر على أسمه

الصورة رغم أنّ أرسطو يقول : " أن الجوهر الحقيقي هو المكوّن من الصورة والمادة "[34] . لكن ليس هنالك تناقض كلياً لأنه عندما نقول أن الجوهر الكامل هو كامل خاصة بصورته بأتم معنى الكمال . إذن الجوهر الأسمى اكتمالاً هو جوهر الإله وكل الجواهر المكوّنة من مادة وصورة موحدة على كل حال بالصورة " . هكذا نستطيع أن نميز بين الكائنات الحية والكائنات غير الحية بمعرفة ماهية المادة فالمادة موجودة بالروح والصورة بالفؤاد . ومعنى الفؤاد هو رؤية حقيقة موجودة . ولهذا فتكوين جوهر معين يفهم "بالفؤاد" أو "امتدد الروح"، وهنا يمكن أن نعادل بين الصورة وما بداخلها . بذلك لا نلغي سبب وجود الصورة ، وأن نرى فقط المادة وماهيتها . ولأنّ مفهوم الخلق نفسه اكتسى صبغة دينية في أغلب الأوقات فإن هذه المفهوم لا يعني إلا السّمو والأبدية والخلود ، ولا يحمل مفهوم المسؤولية أخلاقياً . ومن هذه الزاوية لم تعد الصورة تستطيع أن تفسر مفهوم المسؤولية . وعندما نعتبر مفهوم الوجود يضمحل التفسير السائد ، ويعطي ضرورة تفسير الوجود والخلق بالعقلانية فقط .وإذا كنّا نريد أن نفسر علاقة الوجود بالخلق وعلاقة الخلق بالوجود . وعندما نعتبر العقلانية وحدة بين الوجود والخلق يمكن أن ننظر إليه من زاوية واحد فقط : من زاوية تأثير الخلق على الوجود ، لأن الوجود لا يمكنه التأثير على الخلق لأنه خلق ، وهذا يبيّن فعل الإرادة التي هي الشيء الوحيد اللامتناهي في الخلق وتجعلنا لا نشبه الإله . أما الانفعالات فهي نتيجة تأثير الوجود على الجوهر بعنصريه . وبالرغم من هذه الصبغة التي أوردنا بها هاتين النظرتين فليس ثمة تناظر Symétrie بينهما رغم أن كل منهما لا يؤثر على الآخر لأن النفس لا تتحكم في الجسم إلا من خلال الفؤاد أي سيطرة العقل على الانفعالات . ويظهر الوجود على مستويات مختلفة : على مستوى متناغم مع الخلق ، على نطاق الماهية من حيث أنه جوهر . وهذه المستويات تدخل ضمن إطار ذاتي فقط ، أي لا تظهر كاستثناء . دون ريب أو شك لأنه ليس افتراض منطقي فقط ينتج عن معاناة تجربة حقيقية ، وهو غيبٌ كلّيٌ كأنه النّمط الأسمى الديكارتي[35] الواضح المتميز أي أنه الحقيقة ، وهو شك جذري يطبّق على الحالات الحسّية بل والمعادلات الرياضية . هذا الشك الذي يصعد عن طريق الوحدانية ويبقى ساري المفعول إلى الأبد مبرهناً على وجود الله لا يترك مكانًا شاغراً . يعني أن البعض يرى أن الحقيقة المطلقة تبدو كحقيقة مؤقتة يمكن أن لا نجد لها صفات حقيقيّة إنّ لم نبرهن على وجود الله . لكن هذا المعنى يبدو معقداً مع الضمان الموضوعي للحقيقة وهو الله . إذ هو من ناحية معنىً ذاتياً وحقيقة آنية فقط ، ولكنّه من ناحية أخرى يبرهن على وجود الله ، أي يصل إلى الحقيقة . أعتقد أنها ليست المفارقة "Paradoxe" لأنّها حقيقة مطلقة كما أسلفت تبدو ناتجة عن حقيقة ذاتية ومؤسّسة لها . هكذا تبرز ماهية هذا الوجود أي ماهية الفكر. وهذه العلاقة بين الوجود والخلق تبدو وكأنها تحترم منهجية العقلانية ، ذلك أن العقلانية تلح منهجيّاً على الإنطلاق من الخلق لفهم الوجود وفهم الماهية لا العكس . في نفس الوقت نحن لا ندرك الله وكنهه ولا متناه يقول سبحانه وتعالى : "لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"[36] ، لا تدركه في الدنيا ، وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار ، وقال آخرون ، من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من الآية : إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة . فخالفونا أهل السنة والجماعة في ذلك ، مع ما ارتكبوه من الجهل بما دلّ عليه كتاب الله وسنة رسوله . أما الكتاب ، فقوله الحق

---

[34]- نادي الفلسفة (BAC) المسألة: الإنية والغيرية

[35]-الشك الديكارتي : هو أحد أشكال الشكوكية المنهجية المرتبطة بكتابات رينيه ديكارت ومنهجيته (31 مارس 1596 – 11 فبراير 1650) ، يُعرف الشك الديكارتي بأسماء أخرى مثل الشكوكية الديكارتية، أو الشكوكية المنهجية، أو الشك الشامل، أو الشك المنظم، أو الشك الزائدي . ويكيبيديا

[36]- الأنعام 103

تعالى : "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ " إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ "[37] ، وقال سبحانه وتعالى عن الكافرين : " كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ "[38] ، لأنّ المعني الوجود هنا هو وجود بالفكر لا يوجود شيء بدون الفكر. ووجود الفكر كفكر يختلف تماماً عن علاقة وجود الأشياء الأخرى بماهيتها . وماهية الفكر هنا تتحدّد على مستويين : كجوهر بدون صورة ، وإعمال الفكر وهي العقلانية ألة الفكر وفنه ، كذلك داخل ذلك أنّ الفكر كجوهر يختلف عن المادّة كجوهر جوهرياً أي حقيقيّا أي عبر تمييز حقيقي . بينما الفكر كجوهر لا يختلف عما يغاير الرّوح كحقيقة . بمعنى أنّ الفكر يختلف عن الخيال ولا يقارن البتة بالإرادة والإحساس لأنّ هذه العناصر تتداخل في الرّوح ولكنّها لا تدخل في تحديد الفكر . معنى هذا أنني لا أُحدّد نفسي روحانياً ، لأن فكرة أنا أفكر فأنا مخلوق لا تحمل مفهوم الإرادة بل ملؤها الإيمان والتدبر . إن المعرفة الذهنية لتبدأ مع العقل قبل الحس . والمعرفة الحسية تبدأ مع الفكر قبل الذهن ، وستتمثل إشكالية هذه الفكرة في محاولة الإجابة على اعتراض المشككين التجريبيين . لكن ينبغي أن نفهم هذا النّص على أنّه يرمي إلى بيان أنّ العالم المادّي موجود ويرجع فهمه إلى الحس ؛ ولا يتمثل الفكر باليسير من المعرفة إنما العقل ، فذلك ما نلاحظه على مستوى معرفة الحقيقة فقط أي أنّه على عكس من يعتقد من أن الحواس لا يمكنها من معرفة الفكر نفسه لأن هذا الانطلاق لا يمثل عائقاً في نظام الفكر ، إذ أننا في حياتنا العادية نتشبث بالحسّ ولا نعتقد أنّه مصدر الأفكار مع أنّنا نستطيع بسهولة التخلّي عن هذا العقل . ذلك " أن الفكر أسبق معرفة من الجسم " هو ما يتضح معناه على نطاق نظام الفكر دائماً لأنّ الأسبقية العادية هي أسبقية الحسّ ولذا وجب علينا إن نحن أردنا معرفة الفكر معرفة حقيقية أن نتخلّى بكل ما لنا من إرادة عن كلّ ما يشوب الفكر الخالص ويتداخل ضمنه ، لننتبه كذلك إلى سلسلة الأفكار ونحذف كلّ ما استطعنا من حسّ يشوّه هذه المعرفة . ومن هذا المنطلق فإن العلاقة التي نجدها بين الوجود والخلق وإن كانت علاقة جوهرين مستقلّين متميّزين فإنّها ترمي في الحقيقة إلى نظرة أو موقف روحاني غيبي لا تستدعي دراسة أنتربولوجية ، ونعني بذلك دراسة تركيبة طبيعة الإنسان في حدّ ذاته ، وبرهان أن الجسم ينبغي أن يخضع للعقل باعتبار أنّ الفؤاد الذي هو جزء من الجسم هو مصدر الإنفعالات التي هي سلوك طبيعي وإن كانت تفهم بطريقة خاطئة أي طريقة علمية . ولكنّها تبيّن في الحقيقة ضعف الإنسان الذي يخضع لهذه الإنفعالات . إذن هي نظرة أخلاقية ترغم العقل المتمدن على أن لا يكون مستقلاً ، إن استقلال العقل وهم من أوهام الحداثة فهو دائماً ما يدعم أفكار ، ربما يكون محايداً ولكن لوقت قصير . إن الإستقلال يعني استغناء العقل عن ذاته وهذا يبدو أنه مستحيل ، فتسلط الذات يجعلها في مقدمة شخصية الفرد وإطار تفكيره الذي يشمل ما حاوله فكيف يستقل عن ذاته ويرتبط بذات أخرى عن طريق عقله . وإن الذات في نفس الوقت تعاني من تسلط الوعي عليها . فلا يكون العقل مستقلاً أبداً ، إمّا أن يتّبع أفكار محيطه ، وإما محيطه من يتّبع أفكاره ، أعتقد أن الإستقلالية إدعاءٌ باطلٌ ؛ فما الإستقلالية إذن ؟ وهل هناك اختلاف لدلالاتها ؟ وهل يمكن القول بوجود إستقلالية فكرية أم لا ؟ إن مفهوم الإستقلالية الفكرية في دلالته المطلقة يعني قدرة العقل على سيطرته على الوعي وتنظيم شئون الذات دون التأثُّر بعامل خارجيّ التي ليس لها السّيادة الكاملة على النفس ، فإذا نجح العقل فإنه صار مستبدٌ ولا يسمح مُشارَكَةِ النَّاسِ الآخَرِينَ فِيه دون أن تكون هناك معيقات أو إكراهات ، لكن إذا تحدثنا عن الإستقلالية كإشكال فلسفي ، فإنه يجب علينا النظر إلى القوى النفسية والاجتماعية التي تحكمها ، فهناك مجموعة من الإكراهات التي تحد منها : كالإكراهات

---

[37]–القيامة 22 ، 23

[38]–المطففين : 15

الفكرية والنفسية ، المعرفية والدينية مما يجعلنا نُقرّ بأنه ليست هناك استقلالية مطلقة وذلك في ارتباطها بهذه الإكراهات ، فإن وجدت فإنها نسبية لا تدوم . وفي تحديدنا لمفهوم الإستقلالية كإشكال فلسفي في سياقه الاجتماعي سنتطرق إلى تساؤل نحاول من خلال تحديده الحرية باعتبارها موضوع الإستقلالية والحياد أن يميز بين الحياد الإرادي والحياد اللاإرادي ، ويمكن القول أن هناك حياد لا إرادي حقاً ، وهو الذي لا يقع بالعنف ولا بالجهل ، كالحرية هناك مبدأ خارجي يمارس عنفه على الأفراد بحيث لا نجد أثراً له ، أما الحياد الإرادي فهو أفكار تتم حسب إرادة الفرد ، أي نابعة من إرادته . لكن هناك أفكار يمكن اعتبارها مختلطة ؛ فهي في ظاهرها أفكار إرادية إلا أنه يمكن اعتبارها لا إرادية لأنها تقع إما بالطمع أو التملق . ومن هنا فالأفكار الإرادية هي عكس ذلك ؛ أي أنها أفكار لا إرادية ، فرغم أن الإنسان حر في اختياره لها ، إلا أن حريته تكون مقيدة بإكراهات فكرية ونفسية وغيرها تتمثل في الطمع والتملق ؛ والحرية عكس الإستقلالية ، فكل من ينادي بالحرية فالحرية بالنسبة له ترتبط بالبحث عن اللذة واجتناب الألم ، وهو التصور الأبيقوري[39] الذي يذهب إلى القول أن غرائز الإنسان وميولاته تسبب له الألم ، لذلك علينا البحث عن اللذة ، وهذه اللذة تتحقق باجتناب أوامر الغرائز والأهواء، وبذلك اجتناب الألم . ومن هنا فالحرية هي البحث عن اللذة والابتعاد عن الألم . والإستقلالية البحث عن المعرفة والابتعاد عن التملق ، من وجهة نظري فإن الحرية هي الحياة وفقاً للفطرة التي فطرنا الله عليها بدون التسبب في ضرر الأخرين " أنت حُر ما لم تضُر "، هذه هي الفضيلة التي أتبنهاها " فضيلة الفطرة الإنسانية " وليست واقع الحال ؛ أي التوحيد ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم والإيمان الذي هو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، وكل الصفات التي تكون معنى الإنسانية ، وللفطرة مركبان : الجسمي والروحاني . فطرة الجسم هي الجمال والكمال كما خلقها الله رغم أن الله خلقها بصورة كاملة ، مسموح للبشر أن يقوموا بتحسينها بواسطة طرق حللها الله ، مثل الملابس والاستحمام والعطور . هذه تغيرات سطحية وليست الفطرة الجوهرية . ولكن تغييرات جذرية للجسم لتلائم الذوق الشخصي أو أساليب الموضة الاجتماعية تُندد بأنها تغييرات محرمة وغير شرعية للفطرة . عمليات لتغيير تشوهات سببها مرض ما أو حادث تعتبر ترميم وترجيع للفطرة ، وليست تغييراً لها ، ولذلك محللة . فالحياد هو إرادي ، ويرتبط بالإرادة ، والإستقلالية لا إرادية لأنها تتبع العقل ، والحياد اختيار مطلق لأنه اختيار الذات وكل ما تختاره الذات فهو مطلق أي حر ومجرد ، إن الإستقلالية إشكالية الجدلية ، وسبب تعقد هذه الإشكالية كونها لها أبعاد مختلفة ومتنوعة كما أسلفت ، وهي خضوع للفكر الذي لا يعتبر الإرادة الخيرة أساس تشريعه ، لكن ألا يمكن أن نحدد معنىً واحداً للحياد ؟ أليس الحياد المطلق مجرد وهم لإبراز استقلاليتنا ، إذا كان الإنسان مجبراً على الإستقلالية أو الحياد فهو في حد ذاته استقلالية ؟ "أيها الناس كونو عقلانيين ولا استقلو". وللعقل ثلاثة أوجه ، الوجه الغيبي وله صبغة روحية ذات بعد ديني عقائدي وهو ثابت لا يتغير بمرور الزمان والمكان . أساسه التدبر : أصل مادة (دب ر) تدل على آخر الشّيء وخلفه ، فمعظم الباب أنّ الدّبر خلاف القبل ، ودابرت فلاناً : عاديته ، وذلك أن يترك كلّ واحدٍ منهما الإقبال على صاحبه بوجهه ، ورجلٌ أدابرٌ: يقطع رحمه ؛ وذلك أنّه يدبر عنها ولا يقبل عليها . وتدبّر الغيب : النظر في ما وراء الحياة بحثاً عن

---

[39]–الأبيقورية أو المذهب الأبيقوري)بالإنجليزية(Epicureanism : يُنسب إلى الفيلسوف اليوناني أبيقور (340 ق.م . 270 ق.م)، الذي أنشأه وقد ساد لستة قرون، وهو مذهب فلسفي مؤداه أن اللذة هي وحدها الخير الأسمى، والألم هو وحده الشر الأقصى، والمراد باللذة في هذا المذهب . بخلاف ما هو شائع . هو التحرر من الألم والاهتياج العاطفي. وقد أكد أبيقور أن هذه المتعة، لا تتمّ للمرء من طريق الانغماس في الملذات الحسيّة، بل بممارسة الفضيلة. ويقر اللذة الحسية لأن الإنسان كالحيوان يسعى إلى لذائذه بفطرته، ولكنه حوّل اللذة الحسية إلى مذهب في الزهد، فاللذة عنده تجمع بين الزهد والمنفعة، وقد دعا إلى الحياة السعيدة دون أن تستعبد الإنسان شهوته، وهو بذلك يؤثر اللذات العقلية والروحية في اللذات الجسمية والحسية.

الحقيقة ، ثم التبصر وإعادة النظر مرة بعد مرة ؛ ودبّر الغيب أي : تدبره بعناية وعن فكر وروية ، أو نظر فيه وصرّفه على ما يؤمن . وقال الجرجاني : « التدبر : عبارة عن النظر في عواقب الأمور » . أما ابن القيم فعرّفه : « تحديق ناظر القلب إلى معانيه ، وجمع الفكر على تدبّره وتعقّله » . وقيل في معناه : هو التفكر الشامل الموصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة . وأقول : " هو تفهّم فلسفة ما بعد الموت والتفكر فيما تدل عليه ، وما دَخل في ذلك وما لا تتم إلا به ، مما لم يعرّج اللفظ على ذكره من نواهي وعواقب وانتفاع النفس بذلك بخشوعها عند مواعظه وخضوعها لأوامره ، وأخذ العبرة منه " . والتدبر أيضاً بيان الغيبيات وإيضاحها ، من حيث دلالته بقدر الطاقة العقلية . وأقول إن التدبر النظر في ما وراء الأشياء . إن التدبر لا يكون إلا بعد معرفة الوجود من الخلق كحقيقية لماذا الوجود وماهية الوجود ، وأن المقصود الأصلي للتدبر هو : بيان لماذا الخلق ، ومقصود التدبر هو : الاتعاظ والاعتبار . والتدبر يقع في القلب وهو تفكر القلب في الشيء وتردده ، يقول الحق سبحانه وتعالي : " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا "[40]. ويقال : تفكر إذا ردّد قلبه معتبراً . ورجل فكّير : كثير الفكر . وتدبر الغيبَ تصرّف قلبه في معانيه لدرك المطلوب ، والمعنى أن القلب يسعى لإحضار معرفة الغيب . إن التدبر: هو تصرّف القلب بالنظر في عواقب الغيب . والتفكر: هو تصرّف القلب بالنظر في دلائله ، فالتدبر باطني والتفكر ظاهري فالتفكر أظهر في النظر في وجود الآيات الكونية الواقعة والمشاهدة ، أما التدبر فهو أظهر في النظر في الـ" ما ورأيات " الغيبية . إنّ التدبّر هو الغاية الأسمى من خلق الإنسان ، ويقول الحق سبحانه وتعالى : " أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً "[41] ، وهذا ما دعانا إلى البحث في التدبر كوجه للعقل ، ومعرفة مقاصده وأهدافه التي نعرضها فيما يلي ، أولاً : معرفة حقيقة الوجود والإيمان . فبمعرفة الحقيقة ينشرح الصدر، ويطمأن القلب ، وينثلج ويزداد اليقين في نفس الموقن ، وهذه القوة المعبّر عنها بالزيادة ، وتفاوتها تدرج في الزيادة ، ويجوز أن تسمى : قلة التدرج في الأدلة نقصاً ، لكنه نقص عن الزيادة ، وذلك مع مراعاة وجود أصل اليقين ؛ لأنها لو نقصت عنه لبطلت ماهية الإيمان ، وقد أشار البخاري رحمه الله إلى هذا بقوله : "باب زيادة الإيمان ونقصانه"[42] ، فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص ، وهذا هو المراد من وصفه الإيمان بالزيادة ؛ ويجد القلب في اليقين ما يزيده إيمانًا ، وما ينتهي به إلى الاطمئنان ، إن اليقين يتغلغل في القلب بلا وساطة ، ولا يحول بينهما شيء إلا العدمية التي تسحجبه عن القلب وتحجب القلب عنه ، فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد القلب حلاوة اليقين ، ووجد في معرفة الوجود زيادة في الإيمان تبلغ إلى الاطمئنان . وذلك لا يكون إلا بعد التدبر الذي هو من أعمال العقل ، ولعل العرب كانوا إذا سمعوا القرآن قالوا : قد ازددنا إيمانًا ، "كقول معاذ بن جبل للأسود بن هلال ﷺ : اجلس بنا نؤمن ساعة"[43] ، يقصد : بمذاكرة القرآن والتدبر في آياته ، وذلك لا يكون إلا بالتدبر ، فاليقين إذاً مقصد من مقاصد المتدبر والإيمان نتيجته ومعرفة حقيقة الوجود وماهيته غايته ، فإذا عرفنا الحقيقة وآمنا بالحق شعرنا بسعادة الروح المفقودة وبلغنا قلق الأخلاق التي ستنتج عنه حتمية العمل الصالح والذي هو ثمرة الإيمان وعاقبة التدبر ؛ إنّ اليقين في اللغة العلم الذي لا شك معه . وفي الاصطلاح اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا ، مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال ؛ والقيد الأول جنس يشتمل إلى الظن أيضا ، والثاني يخرج الظن والثالث يخرج الجهل والرابع يخرج اعتقاد المقلد

---

[40]-محمد 24

[41]-النساء:82

[42]-صحيح البخاري

[43]-اسلام ويب : https://www.islamweb.net/ar/article/234010/

المصيب ؛ واليقين عندي هو : " رؤية القلب بقوة العقل لا بالمنطق" . وقيل : "بمشاهدة الغيوب بصفاء القلوب ، وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار . وقيل هو طمأنينة لقلب على حقيقة الشيء ، يقال « يقن الماء في الحوض » إذا استقر فيه . وقيل اليقين رؤية العيان . وقيل تحقيق التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب . وقيل اليقين نقيض الشك . وقيل اليقين رؤية العيان بنور الإيمان . وقيل اليقين ارتفاع الريب في مشهد الغيب . وقيل اليقين العلم الحاصل بعد الشك"[44] إنَ الشك الفلسفي هو أن نقول : " بأن الأمور لا يمكن أن تُعرف على وجه اليقين " ، اليقين الذي هدفه التحرر من القلق ، في حين كانت أهداف التشكك الأكاديمي تدور حول إصدار أحكام في ظل عدم اليقين على سبيل المثال : تحديد الحجج الأكثر شبهاً بالحقيقة . وماذا عن الشك اليقيني ؟ أي نبقى في شكٍ حتى إذا عرفنا الحقيقة " رؤية الغيب بعين الفؤاد " . فهي الواقع موضوعة بسبب الآثار المترتبة على الاستنتاج داخل المعطى ، غير الحجة إلى « أنا أفكر فأنا مخلوق » ؛ ليصبح هذا أول يقين لنا . فكيف لنا أن نتيقن من الأشياء المؤكدة والأشياء غير المؤكدة والأشياء شبه مؤكدة . ثم نحاول إثبات ما يمكن أن نعرف بالتحديد . إن الموضوع الرئيس لنا هو أن الشك يلعب دوراً في علم المعرفة . أنظر كيف يؤكد ويتجنشتاين على رسالة مناهضة للأساس[45] : "أن كل ادعاء يمكن التشكيك به ولكن اليقين ممكن في إطار العمل إن الوظيفة « "الإقرارات" التي تخدم اللغة هي أن تكون بمثابة إطار يمكن أن تكون فيه الاقتراحات التجريبية منطقية» " . فكيف نفصل الشك عن اليقين ، وأين يقع كلٌ منهما من الآخر ؟ ، إن الأشياء المؤكدة وغير المؤكدة وشبة المؤكدة تعطينا درجات مختفلة من اليقين ، إن الحاجة إلى تحديد درجات اليقين محل تقدير في مختلف المجالات ، ولأن المجالات مختلفة فإن الأهداف المختلفة وتتطلب درجات مختلفة من اليقين ، ولا يدرك الناس دائماً مدى اليقين الذي نتعامل معه . ورأى رودولف كارناب أن اليقين مسألة درجة «درجة اليقين» يمكن قياسها بموضوعية ، وأن الدرجة الأولى هي اليقين . انشأ الاستدلال البايزي[46] درجات من اليقين تفسَّر على أنها مقياس من المعتقد النفسي الذاتي . إن الشك اليقيني التام هو معرفة الحق ، والشك واليقين هما الأمن في المعرفة ، والهدى إلى الصراط المستقيم ، فالشك اليقيني التام رافع للشك المطلق التام ، فلا يمنع أن يكون الشك اليقيني مانعاً من مطلق الشك ومطلق اليقين فتأمله . والفرق بين أن نقول : هذا معه الشك اليقيني ، وهذا معه مطلق اليقين : أن الشك اليقيني : اليقين الكامل الذي جاء فيه بالواجبات جميعها ، فإذا كان كذلك فله اليقين التام ، وله الاهتداء التام للحق . وأما الآخر فله مطلق اليقين ، يعني : هو من ضمن اليقين ، ولكنه يقع في اللاوعي فيعمه اسم اليقين ، ولكنه عاص عن المعرفة ، فلا يحرم من معرفة الحقيقة ، فإذا قلنا : هو في دائرة الشك ، فله النجاة ، فدائرة الشك اليقيني أقل ، فيها المتبصرون وفيها الذين لم يظلموا أنفسهم ، فلهم الإيمان ولهم المعرفة التامة . والشك اليقيني وصف للإيمان وفيه كل الخصال المرجوة التي يطلبها الحق . ومطلق اليقين أن تكون ذو معرفة

---

[44] https://ar.wiktionary.org/wiki/%D9%8A%D9%8E%D9%82%D9%90%D9%8A%D9%86

[45] –المصدر السابق

[46] – استدلال البايزي هو نوع من الاستدلال الذي يستخدم عامل بايز لتطوير تقييم احتمالات فرضية ما بسبب اكتشاف دليل جديد. يُعتبر التطوير البايزي تقنيةً هامَّة في علم الإحصاء، وخاصةً في الإحصاء الرياضي: وتقديم الاستدلال البايزي لمنهج إحصائي يؤكد على أن هذا المنهج فعَّال كأي منهج آخر منافس له في بعض الحالات. ويُعد التطوير البايزي ذا أهمية خاصة في التحليل الديناميكي لتسلسل البيانات. والاستدلال البايزي له عدة تطبيقات في مجالات مختلفة منها :العلوم، الهندسة، الطب، وأيضًا القانون.
وفي فلسفة نظرية القرار، يرتبط الاستدلال البايزي بشكل مباشر بمناظرات عن الاحتمال الذاتي، والذي غالبًا ما يطلق عليه اسم "الاحتمال البايزي." الاحتمال البايزي." الاحتمال البايزي يُقدِّم منهجًا منطقيًا لتطوير المعتقدات؛[1][2] لكن، عوامل التطوير اللابايزي تتوافق مع مفهوم المنطقية، وذلك وفقًا لكل من إيان هاكنج (Ian Hacking)وأيضًا باس فان فراسين.(Bas van Fraassen) . ويكيبديا

وفعل ، وهو داخل في مطلق الشك اليقيني ، ولكنه ينقص هداه وينقص يقينه بقدر ما يقع فيه من أخطاء . إن الشك اليقيني يتضمن فعل ما وعاه العقل كله ، وترك ما نهاه عنه كله . واليقين المطلق : هو أصْلُ اليقين والذي هو الإيمانِ ، وهذه المَرتَبَةُ غيرُ قابِلَةٍ لِلنُّقصانِ ؛ لأنّها حَدُّ الفهم أي ما بعد المعرفة ، والفاصِلُ بين الشّكِ واليَقِينِ ، وهذا النَّوعُ واجِبٌ على كُلِّ فردٍ دَخَلَ دائِرَةَ اليقين ، وشَرطٌ في صِحَّتِهِ اسْتِنْتاجِهِ ؛ لأنَّ اليَقِينَ وحكمَهُ يَشْمَلُ كُلَّ مَن دَخَلَ فيه ، وإن لم يَسْتَكْمِلْهُ، ولكن مَعَه الحَدّ الأدنى مِنه " مَا دُونَ الشّكِ "، وهو ما يَصِحُّ بِهِ وَعْيُهُ ، والمُرْتَابُ داخِلٌ في هذا المَعنى ، وهذا اليَقِينُ يَتَحَقَّقُ بِوَعْيِ العَقْلِ والانْقِيادِ المُجمَلِ لَهُ . بدلًا من ذلك قد يستخدم المرء درجات اليقين الشرعية . وترتفع معايير الأدلة هذه على النحو التالي : "لا يوجد دليل موثوق به ، وبعض الأدلة الموثوقة ، وثبات الأدلة ، والأدلة الواضحة والمقنعة ، دون شك معقول ، ودون أي نسبة من الشك "[47] من المؤكد أنه معيار مستحيل التحقيق ، لا يخدم سوى إنهاء القائمة " . قال ابن سعدي " اليقين : هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك ، الموجب للعمل "[48] أ.هـ ، وقال بعضهم " ظهور الشيء للقلب بحيث يصير نسبته إليه كنسبة المرئي إلى العين فلا يبقى معه شك ولا ريب أصلاً وهذا نهاية الإيمان وهو مقام الإحسان "[49] . أي أن اليقين من وجهة نظري هو : ما وعاه القلب وصدقه العقل ، والشك اليقيني ما وراء ذلك . فالشك اليقيني أرقى درجات الفهم ، وأخص صفات أهل المعرفة والعلم ، قال الحق سبحانه وتعالى : (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[50] ؛ قال ابن القيم : "اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسم وبه تفاضل العارفون ، وفيه تنافس المتنافسون وإليه شمر العاملون ، وهو مع المحبة ركنان للإيمان وعليهما ينبني وبهما قوامه ، وهما يُمدان سائر الأعمال القلبية والبدنية وعنهما تصدر وبضعفهما يكون ضعف الأعمال وبقوتهما تقوى الأعمال ، وجميع منازل السائرين إنما تُفتتح بالمحبة واليقين ، وهما يثمران كل عمل صالح وعلم نافع وهدى مستقيم" أ.هـ[51]. "واليقين على ثلاثة أوجه ، ذكرها أبو بكر الوراق : يقين خبر ، ويقين دلالة ، ويقين مشاهدة ؛ قال ابن القيم رحمه الله : يريد بيقين الخبر : سكون القلب إلى خبر المخبِر، وتَوَثُّقُه به . ويقين الدلالة : ما هو فوقه ، وهو أن يقيم له ، مع وثوقه بصدقه : الأدلة الدالة على ما أخبر به ، وهذا كعامة أخبار الإيمان والتوحيد والقرآن ، فإنه سبحانه مع كونه أصدق الصادقين ، يقيم لعباده الأدلة والأمثال والبراهين على صدق أخباره ، فيحصل لهم اليقين من الوجهين : من جهة الخبر ، ومن جهة الدليل . فيرتفعون من ذلك إلى الدرجة الثالثة ، وهي يقين المكاشفة ، بحيث يصير المخبَر به لقلوبهم ، كالمرئي لعيونهم ؛ فنسبة الإيمان بالغيب حينئذ إلى القلب : كنسبة المرئي إلى العين . وهذا أعلى أنواع المكاشفة ، وهي التي أشار إليها عامر بن عبد قيس[52] في قوله : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا . وليس هذا من كلام رسول الله ولا من قول علي كما يظنه من لا علم له بالمنقولات"[53]. وأعظم أبواب تحصيل الشك اليقيني : العناية بالكلام ، والتدبر ، والعمل الصالح . ونقيض اليقين : الشك ، وقد عرف "الجرجانى" الشك فى معجمه الفلسفى "التعريفات" بقوله : "هو التردد

---

[47] https://profilbaru.com/ar/ اليقين

[48] –"تفسير السعدي" ص40

[49] –مدارج السالكين ج2/ ص399

[50] –سورة البقرة : 4-5

[51] "–مدارج السالكين "ج2/ص397

[52] عامر بن عبد قيس القدوة الولي الزاهد أبو عبد الله ويقال أبو عمرو التميمي العنبري البصري روى عن عمر وسلمان وعنه الحسن ومحمد بي سيرين وأبو عبد الرحمن الحبلي وغيرهم وقلما روى قال العجلي كان ثقة من عباد التابعين رآه كعب الأحبار فقال هذا راهب هذه الأمة، سير أعلام النبلاء https://ar.wikisource.org/wiki

[53] –مدارج السالكين ج2/ص400

بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الأخر عند الشاك " ، والشك عندي هو : " ما استوى طرفاه في وعاء القلب فوقف العقل بينهما " ، وخصائص الشك تتمثل فى الأربع التالية[54] : "الخاصية الأولى للشك : توقف الشخص الشاك عن إصدار أحكامه سواء بالقبول أو بالرفض ، وذلك كما جاء فى تعريف الشك بأنه " التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الأخر " ، أى أننى أظل أتردد فقط دون أن أحكم بإثبات نقيض أو نفيه . الخاصية الثانية للشك : قدرة الشخص الشاك على الإختيار والإنتقاء بين النقيضين ، ولكنه رغم ذلك يرفضهما معاً ، وبدون هذه القدرة لا يكون الموقف شكاً ، وإنما عجزاً ، فمثلاً إذا كنتُ أرفضُ التفسير المادى لتطور المجتمع وأشك فى قيمته ، فإن هذا الموقف يفترض أيضاً إمكانية الشك فى النقيض الأخر وهو التفسير الروحى . الخاصية الثالثة للشك : إن الشك تعبير عن الحرية الذاتية للفرد ، وهذه الخاصية نتيجة حتمية للخاصيتين السابقتين ، فما دام الإنسان الشاك يرفض الإنحياز إلى أحد النقيضين ، ومادامت لديه القدرة على الإختيار والإنتقاء بينهما ، لكنه رفض كليهما معاً ، فالأمر يعنى بالضرورة أن مثل هذا الشخص يمارس نوعاً من الحرية الذاتية فى أن يحكم أو لا يحكم ، وأنه إختار ألا يحكم قطعياً وإتخذ موقف الشك بإرادته الحرة دون أى إجبار . الخاصية الرابعة للشك : الشك ليس جهلاً فالشك موقف عقلى واعى وإتجاه فلسفى يتخذه صاحبه بعد تفكير عميق وتدبير طويل ، وبالتالى يجب على الشخص الشاك حسب هذه الخاصية ألا يقف صامتاً وهو يرفض ، وإنما عليه أن يناقش كل الأراء ويفندها ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى نقيضها ويفندها أيضاً ". إن العقل الناضج يعقل الوجود يعقله على حقيقته ، رغم أنه قد تضاربت آراء الفلاسفة في هاتين النقطتين أشد التضارب . وذلك بالإدراك الحسي ، والاستدلال العقلي ، ولكننا نخطئ أحياناً ونظل على الاعتقاد بأن حواسنا آلات حسنة لمعرفة الأشياء ، وأن عقولنا آلات صالحة للتصور والاستدلال . أما إذا تتبعنا نظريات الفلاسفة سيتبع تلك المعارف الشك فنشك فيها . وتوالت المذاهب والآراء في نقد الحواس ونقد العقل ، وتكونت مدرسة شكية[55] أخذت على نفسها مهاجمة المعرفة الإنسانية والتوقف عن إثبات أي شيء . وترجع الحجج التي جمعها قدماء الشكاك من اليونان وخلفوها لمن جاء بعدهم إلى الأربعة التالية : أولاً : الأخطاء التي يقع فيها الناس ، ومنها أخطاء الحواس وأخطاء الوجدان في اليقظة والمنام ، وأخطاء الذاكرة وأخطاء الاستدلال ، وهذيان المحمومين وتخيلات المجانين . إن البرج المربع ويبدو لنا عن بُعد مستديرًا ، والمجذاف يبدو منكسراً في الماء ، ومتى سارت بنا مركبة أو سفينة بدَا الطريق وبدَا الشاطئ كأنه يسير . ونحن جميعًا نعتقد بحقيقة ما يتراءى لنا من الصور في الأحلام ، فلِمَ لا تكون اليقظة وهماً كالحلم ؟ والذي نسميه مجنونًا لا يعرف أنه مجنون بل يظن نفسه عاقلاً ، فما يدرينا أن عقلنا ليس جنوناً ؟ ولما كان التصديق مصاحباً لتصوراتنا جميعاً، فبأية علامة نميز الحق من الباطل ؟ ، وما الذي يضمن لنا أننا لا نخطئ دائماً ؟ . ثانياً : اختلاف الناس في إحساساتهم وآرائهم وعقائدهم وأخلاقهم وعاداتهم ، حتى ليمتنع التوفيق فيما بينها على من يحاوله ، والمذاهب الاعتقادية[56] متعارضة يهدم بعضها بعضًا ، ومع ذلك فكل مقتنع برأيه متعصب له . إن هذا الاختلاف الشامل دليل ساطع على عدم وجود حقيقة بالذات ، أو على عدم استطاعتنا الوصول إليها إن وجدت . ثالثاً : امتناع البرهان التام ، فإن البرهنة على قضية ما تستلزم الاستناد على قضية أخرى ، وهذه تستلزم الاستناد على

---

[54]-أدب دمهور https://historical.yoo7.com/t1181-topic

[55]-الشكوكية بالإنجليزية Skepticism : بشكل عام هي أي اتجاه شكّي أو ارتياب بخصوص شيء أو أكثر من المعتقدات أو المعارف المفترضة. تتجه الشكوكية غالبا نحو اختصاصات مثل ما وراء الطبيعة أو علم الأخلاق (الشكوكية الأخلاقية) أو الدين (الشكوكية حول وجود الله) أو المعرفة الشكوكية حول إمكانية المعرفة أو اليقين صوريا، تأتي الشكوكية كموضوع في سياق الفلسفة– خاصة نظرية المعرفة –على الرغم من أنه يمكن تطبيقها على أي موضوع مثل السياسة أو الدين أو العلم الزائف. ويكيبيديا .

[56]- أو الفرق العقائدية الإسلامية هي فروع مختلفة من مدارس فكرية وكلامية في الإسلام فيما يتعلق بالعقيدة . ويكيبيديا

ثالثة ، وهكذا إلى ما لا نهاية . فنحن مسوقون إلى التسلسل دون أن نستطيع الوقوف عند حد وإرساء العلم على أساس . رابعاً : امتناع التدليل على صدق العقل ، وهذا الدليل واجب ؛ إذ من الخلف الوثوق بالعقل قبل الاستيثاق من إمكان الوثوق به ، ولا نستوثق من هذا الإمكان إلا بالعقل ، ولا يصح أن يكون العقل حكماً في صدقه هو ، أو نقع في دور لا مخرج منه . لذلك حتى يتحقق التدبر ، يجب أن يكون بنية معرفة الحقيقة والامتثال بما فيها ، ثانياً إن تدبر العقل هو الطريق للعمل بما جاء في غيبياته ؛ وذلك لأن العمل يتوقف على علم الغيب ، والعلم لا يمكن إلا بالتدبر . أي : اتبعه ، فهم يعملون بما فيه ، ويعملون بمحكمه ، ويتجادلون بمتشابهه ، بمراعاة الفكر عن التحريف وبالتدبّر في معانيه والعمل بما فيه ؛ لأننا إن تدبرناهُ تدبراً صادقاً عرفنا الحق ، وأن اتباع الحق واجب ، وتصديق ما جاء به لازم . وإن الفائدة المنشودة من التدبر هي العمل به ، وهكذا فإن العقل حجّةٌ لنا أو علينا ، وهذا الذي كان عليه من قبلنا رأوا العقل وسيلة توصلهم إلى الغاية ، فكانوا ما يتدبّرونه بالليل ينفّذونه بالنهار . ومن هنا فإن الذين لا يتدبّرون ، سوف يفوتهم تطبيق الكثير من مبادئ الحياة وهم لا يشعرون . وهناك ارتباط وثيق بين الإيمان والعمل الصالح ؛ فالإيمان شرطه العمل الصالح ، وإلا كان قولاً لا دليل عليه ، والعمل الصالح شرطه عندي الإيمان ؛ لكي يكون مقبولًا . لأن الإيمان تصديق بقلب وعمل بالجوارح ينعكس على حياة الفرد وسلوكه، وعلاقته بمن حوله . فالإيمان والعمل هما القاعدتان الأصيلتان التي تبنى عليهما معرفة الحقيقية . أما الإنسان الذي لا يتدبر فهو العجول ، يقول الحق سبحانه وتعالى : " خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ "[57] ، الجاهل بما ينفعه وما يضره ، المندفع الذي لا يضبط انفعالاته ، ولو كان من ورائها الشر له ، ذلك أنه لا يعرف مصائر الأمور وعواقبها ، ولقد يفعل الفعل وهو شر، ويعجل به على نفسه ، وهو لا يدري ، أو يدري ولكنه لا يقدر على كبح جماحه ، وضبط زمامه ، وكثير من علماء المسلمين يربطون التدبر بالقرآن ، ولكنني هنا أحاول أن أنظر إليه من زاوية فلسفية بحثة تجعل ذهن المتدبر يستغرق في حقيقية الوجود إلى حدٍّ يجعله يغفل عمّا حوله حتى ينصرف قلبه إلى النَّظر في الدلائل على مهلٍ ؛ وهذا تفسيرٌ له بالتفكر والتَّفْكِير في حقيقية الوجودُ وَالتَّأَمُّلُ فِيهَا . لِأَنَّهَا تُحْوِجُ بِغُمُوضِهَا إِلَى التَّدَبُّرِ وَالتَّصَفُّحِ "التوحيدي" الباحث عن حقيقة الوجود وحقيقة الخلق . والفيلسوف الحق من يتدبَّر في الأمور قبل إتيانها ، فينطبق عليه قول الحق : " أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ". وحسب خالد بن عثمان السبت[58] فإن بعضهم يفرق بينهما ؛ باعتبار أن التدبر : تَصَرُّف القلب بالنظر في العواقب ، وأما التفكر : فتَصَرُّفه بالنظر في الدليل . وعبَّر عنه بعضهم بأنه : التفكر في عاقبة الشيء وما يؤول إليه أمره . وهو بمعنى قول من فَسَّره بالنظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء . وهما تعريفان مُتقَارِبان والله أعلم ؛ أقول: إنّ التدبر أن تنظر في الوجود وترى هل لم من مُوجِدٌ ؟ هكذا هو أبوبٌ من خلفها أبواب . والوجه الثاني للعقل هو الوجه الجدلي وهو فكري فلسفي يعتبر أن العقل الناضج ينتج ظواهر تاريخية لا محالة ، ويميز بالتالي بين عقلانيات مختلفة حسب البيئة والثقافة ، وهذا الوجه ينطلق من فكرة نسبية العقل[59] ويحاول إبراز الصفات الخاصة لكل عقلانية . مع عدم أغفال فكرة أن العقل واحد لكنه ربما لا يهتم بمسألة علاقة أوجهه ببعضهم أو على الأقل صفات أساسية وأولية لكل وجه . ويبداء الجدل بالتصور يقول

---

[57]–الأنبياء 37

[58]–أستاذ مشارك في كلية التربية (قسم الدراسات القرآنية) في جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل في الدمام.

[59]– العقل نسبي الادراك ولذلك، فان الاعتماد على العقل وحده . دون «الوحي»، الذي هو علم الله المطلق والكلي والمحيط . يقف بالانسان عند «النسبي» و«الظني»، اللذين هما غاية الاجتهاد الانساني، ويحرم الانسان من «اليقين» الذي سبيله «القلب» والعلم الإلهي ونبأ السماء العظيم. الكاتب محمد عمارة / جريد الشرق الأوسط الإلكترونية عدد 10 فبراير 2001 .

الشعراوي رحمه الله : "وفَرْق بين التعقل "[60] ما أسميتُه التدبر " ، والتصور، والذي أتعب الفلاسفة أنهم خلطوا بينهما ؛ فالتعقل أن أنظر في آيات الكون ، وأرى أن لها موجداً ، أما التصور فبأنْ أتصور هذا الموجِد : شكله ، اسمه ، صفاته..إلخ ، وهذه لا تتأتى بالعقل ، إنما بالرسول الذي يأتي من قِبَل الإله الموجِد" أ.هـ . والتصور حسب قاموس ويكاموس هو : " عَمَلِيَة تَمثِيل عَقلِي للأشياء المَادِية أو الأحدَاث فِي الواقِع وإستِحضَارِها بِكُل الطُرُق الحِسية على الرَغم مِن أنَها اِنتَهَت ولَم تَعُد مَوجودَة في الوَقت الحاضِر " ، وتلعب هذه العملية دوراً مهماً في الإصابة بالعديد من الاضطرابات النفسية " . والتصور الذهني أحد أهم أدوات العقل ، ويعتمد أساساً على قوة العقل وقدرته . القوة من حيث استحضار المادة والقدرة من حيث صياغتها ، وتكمن هذه القوة في العقل على التفكير الإيجابي والنظرة الجمالية ؛ ثم القدرة على استخلاص النتائج ؛ ويكمن السر في حسن التصور ، ويحتاج العقل إلى محفزات خارجية لتمكنه من التصور . "فإذا تخيل الفرد بأنه سينجح في أمر ما في حياته ، فإنه سينجح حتى إذا لم يكن النجاح حليفه ، فإنه يتعامل باحترافية مع الآثار السلبية التي خلدتها عدم قدرته على تحقيقه ، ويعود من جديد للاستمرار وذلك بسبب الطاقة المشتعلة والرغبة الملحة للوصول"[61] . "باختصار وفقاً للتعريف النفسي فإن التصور العقلي هو تمثيل إدراكي لا يتم تشغيله مباشرة عن طريق المدخلات الحسية أو التمثيل الذي يتضمن معالجة إدراكية لا يتم تشغيلها مباشرة عن طريق المدخلات الحسية ، وقد يحتاج مفهوم الإتجاه المباشر إلى مزيد من التوضيح والأمر نفسه ينطبق على مفهوم المدخلات الحسية الفورية المناسبة التي تم استخدامها أيضاً لتحديد ما تفتقر إليه التصور العقلي"[62] .

ويمثل التصور نزعة إنسانية ظهرت على نحو من الأنحاء ، وهو يعبر عن شوق الروح إلى معرفة الحقيقة ، ورغبتها في الغوص في قيود المادة وكثافتها وسعيها الدائم إلى تحقيق مستويات عليا من الصفاء الذهني والكمال العلمي . وهو ضبط الحواس ، واطلاق الأنفاس في كل خلق سَنِيّ . نستطيع أن نقول أن العقلانية الجدلية اتسمت بصفات خاصة منها عامل النقاش والجدال . فإذا وضعت في عقلك صورة ذهنية لشيء ما فإنك تستطيع تبادل الحجج والجدال دفاعاً عن وجهة نظر معينة ، ويكون ذلك تحت لواء المنطق . عكس التدبر الذي ينظر من زاوية أخرى للمنطق . والنقاش ليس مجرد عامل خارجي للعقلانية الجدلية بل إنه يندرج ضمن الموقف من العقل . كالجدال الأفلاطوني السفسطائي الذي ترتكز عليه أهم مواقف أفلاطون من الفلسفة ، والجدال الذي نجده ضمن فلسفة ارسطو في " ما بعد الطبيعة " وخاصة في الكتاب الأول ، بما أن أرسطو يقوم بشبه تأريخ للفلسفة ، ولكنه تاريخ غائي يريد أرسطو أن يبين من ورائه أن الحقيقة اكتملت عنده بعدما ظهرت جزئياً في الفلسفات السابقة . يمكن أن نقول إذن ، أن العقلانية الجدلية أو الجدال المتمدن يرتكز على عاملين : النقاش والاعتقاد بأن الحقيقة تتكون تراكمياً عن طريق الجدال ، والذي هو عرض موضوع النقاش بعد تصوره وتجزئته إلى مواضيع أصغر فأصغر واستنتاج متناقضات كل موضوع على حدة وتحليل الإجابات ومقارنتها . ثم البرهان الذي هو جمع المؤتلف وإسقاط المختلف ، والمؤتلف هو : كل ما يأتلف أي يتفق في المدخلات صورته وتختلف في المخرجات صيغته خاصةً تجاذُبِ الظواهر التحليلية اليقينية في مجال الحُجَّة البيِّنة الفاصلة بتداعي الأَفكار وترابُطها باستدلال الذي ينتقل فيه الذهن من قضايا مسلَّمة إلى أخرى تنتُج منها نتائجَ يقينية يظهر بها الحق ، وتتميز بها عن الباطل ، والفرق الرئيسي بين المؤتلف وغير المؤتلف هو : أن المؤتلف خضع لإعادة التركيب المعرفي في حين أن غير المؤتلف لم يخضع لإعادة التركيب المعرفي . والمختلف

---

[60]-الوصايا التسع في القرآن (الشعراوي)https://amrkhaled.net/Story/1045652

[61]-فاطمة نمار يوسف/ مدربة قيم مهارات التدريب على الحياة للأطفال. https://albiladdaily.com

[62]https://e3arabi.com/author/randa-okashah/ رندا عكاشة

كل ما فِيهِ جِدَالٌ وَنِزَاعٌ . أعتقد أنني ممتد في الفلسفة الحديثة التي تطلق الجدليّة على الفكر الذي لا يقنع بالوقوف عند حدٍّ معين . بالتفكير الصارم والمبالغة في التدقيق . بمعنىً آخر فالجدال المتمدن هو الوعي بذات الأخر فبدون الوعي الجدلية محض فراغ ، وهذا يبين الإرتباط العضوي بين العقلانية والوعي ، وتسلط الوعي على الذات ، بذلك لا تُبطل حرّيّتي ، ولا يُعطّل كياني ، وهكذا أنا كلما ازدتُ وعياً ازدتُ عُزلةً : الأسبوع الماضي قررت أن لا أُناقش أحداً في محضرات حوادث الطيران ، اليوم قررت أن لا أكلم أحداً ؛ وحسب كافكا[63] : " إذا كان هناك ما هو أشد خطورة من الإفراط في المخدّرات فمن دون شك هو الإفراط في الوعي"[64] . إن الإفراط في الوعي درجة من درجات التصوف التي يصفها شوبنهاور[65] بـ" الوضع الأسمى الذي يتمكن فيه العقل البشري من النفاذ فيما وراء مجرد المظاهر إلى معرفة ما هو أكثر حقيقية ". ذلك أنه يقرّ في نفس الوقت بأن الجدلية هي التي تبلور المبادئ العقلية الأساسية مثل مبدأ عدم التناقض والتفوق ، ولكن ما دور النفس وهل تستطيع أهواء النفس أن تخلق عقلاً موازياً ؛ تمدد النفس بين العقل والقلب هذا الرأي هو مبدأ مؤسس للوعي ، لكن الوعي لا يؤسس هذا المبدأ بل يبقى في مجال البحث الجدلي . ولبيان الاختلاف بين هذا النوع من العقلانية يمكن أن نعتبر أن أهواء النفس تعتقد أن العقل مهما كان مخالف للواقع هو عقل ابستمي[66] "معرفي" إنساني ، أي ليس هناك وجود عقلي خارج الإنسان ، وهذا العقل منسجماً تماماً مع نفسه ، أي أن اختلاف المجالات التي يبحث فيها العقل لا يجعل العقل مختلفاً بل متماهياً مع الفؤاد الذي هو اجتماع القلب والعقل على رأي واحد ، يقول الحق سبحانه وتعالى : " مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * "[67] ، العقل حلل الصورة والقلب فهم وكلاهما رأى . والمقصود هو رؤية سيدنا جبريل الروح القدس ، ونزلةً أُخرى : أي مرةً أخرى ، فكيف للعقل يمكن له أن يعرف الذات والوجود بنفس المعايير بدون القلب ، إن الفؤاد من يوحد مجال المعرفة وليس العقل لوحده بل يوحد نفسه في القلب ، ذلك يجعلنا نركز على ضرورة الوضوح والبداهة والتمييز ونعطي القيمة الأولى للفؤاد العارف لا العقل كما هو ، لنفتح مجال للنقاش والحوار ضمن هذا العقل الجديد المتحد مع القلب ، وإذا كانت النفس تمتدد بين العقل والقلب فهي النور الطبيعي للمراء ، ولهذا ليس من الضرورة الاعتماد على تاريخ الفلسفة وعلى ما كان يعتبر السلطة الكمية وخاصة الفهم الذي كان متداولاً لفلسفة أرسطو ، إن الفؤاد يفترض مفهوم تنظيم الأفكار بعيداً عن أهواء النفس . "وسواء تعلق الأمر بالتأملات أو بالنصوص الفلسفية الأخرى ، لا ينبغي أن نطبق عليها ما ردده ديكارت نفسه في الإجابة عن الافتراضات من أن نظام الأفكار هو النظام الفكري الوحيد الذي يختلف أو يتناقض مع نظام المواد . فديكارت كما يتضح ذلك في التأملات لا يحلل مادة بعد مادة أو موضوع بعد موضوع"[68] ، أي لا يخضع لنظام علاقة المواد ببعضها بل يحلل الأفكار حسب ضرورة تسلسلها ، الواحدة بعد الأخرى ، ولا يكبح جماح النفس إلا الإيمان الذي كان يفتقده نيتشيه على العكس من ديكارت

---

[63]-فرانس كافكا 3يوليو 3 - 1883 يونيو 1924 بالألمانية Franz Kafka :كاتب تشيكي يهودي كتب بالألمانية، رائد الكتابة الكابوسية. يُعدّ أحد أفضل أدباء الألمان في فن الرواية والقصة القصيرة تُصنّف أعماله بكونها واقعيّة عجائبية.

[64] https://www.aljazeera.net/opinions الجزيرة نت

[65]-آرثر شوبنهاور أو شُبِنْهَوَر بالألمانية Arthur Schopenhauer 22 :فبراير 1788 21 – سبتمبر 1860 م فيلسوفٌ ألماني، أشهر أعماله كتاب العالم إرادة وفكرة الصادر عام 1818 (وصدر الإصدار الثاني الموسع منه في عام 1844).

[66]-نظريّة المعرفة بالإنجليزيةEpistemology : هي دراسة لطبيعة المعرفة، الشّرح التبرير، وعقلانيّة الاعتقاد أو الإيمان .

[67]- سورة النجم الآيات 11،12،13

[68]-العقلانية الديكارتية :الدكتورعلي الشنوفي ، السيرة الذاتية. لا يوجد وصف

الذي برهن على وجود الله في التأملات . ولا يصل إليه ديكارت إلا في التأمل السادس فبعد تركيز وجود الذات وبيان ماهية الذات والبرهنة على وجود الله يكتشف ديكارت الطبيعة . والنفس لا تعرف ذاتها إلا عن طريق العقل والقلب ؛ و " العالم الحسي أو المادي " لا يفهم إلا عن طريق الفكر حسب ديكارت . إن النفس لتحتوي في ماهيتها على مفارقات كثيرة نسميها أهواء ، فنحن لا نخطئ عندما نعتبر أن هذه المفارقات هي ليست مفاهيم فلسفية لأنها متناقضة ظاهريا وباطنياً ، ذلك لأن المفهوم الفلسفي يجب أن يكون مفارقاً للظن وللآراء السائدة وهذا هو الجديد ، فالمفهوم الفلسفي ينبغي أن يكون مفارقاً ، وهذا ما نجده في التدبر الذي هو أيضاً نوعٌ من التحرك الفكري التأملي : ضرورة الفصل بين الفكر وما يخالفه وضرورة إنتاج مفاهيم مفارقة . وبما أن العقل المتمدن هو عقل مفكرٌ بطبيعته من دلالاته صدق الحدس والإنتباه خالياً من الأوهام ، فهذا هو المدى الذي يوصل العقل المتمدن على أفكار الفطرية الإنسانية السليمة ، و وصوله إلى الصواب وعدم وقوعه في الخطأ ؟ ، إن الخطأ هو دلالة الأخر للعقل المتمدن ومن ذلك كثرة أخطآء الناس الطبعيين فهما متضادان لا يلتقيان ، والوهم من أهواء النفس المريضة . أقصد أنه ليس هناك إمكانية وجود وجوه سلبية للعقل في حين أن كانط يقول : "أن هناك وهماً داخلياً في العقل الذي لا يقتصر على الخطأ والصواب " ، هذه الدلالات تمنح الفرد الحكمة أو ملكة الحكم ، والحكمة تحتوي في الحقيقة على ملكتين متميزتين ، الذهن المتوقد من النفس القوية التواقة للمعرفة بالفكر باستعمال الوظائف المعنوية للعقل وهما الوعي والإدراك ، والإرادة التي هي : تصميم الفؤاد الواعي وطاقته وقدرته على أداء فعل معين ، بالإضافة إلى العمل الإيرادي وليد قرار ذهني سابق ؛ ويأتي الخطأ عندما تفشل العلاقة بين النفس والعقل لأي سبب ، وكل من هاتين الملكتين على حده ليس فيها نقص ، حتى الذهن نفسه مع أنه متناه ، فالخطأ إذن لا ينتج عن الله سبحانه وتعالى عما يصفون ولا عن الذهن ولا عن الإرادة ولا حتى عن علاقة الذهن بالإرادة في حد ذاتها بل على نوع ما من علاقة النفس والعقل عندما نثبت عن طريق أهواء النفس أفكاراً غير موجودة في الذهن . ومهما كانت الإرادة حرة غير متناهية فإنها تعتمد على هذه العلاقة ، أعتقد أنه ليس من الضروري أن تكثر الأخطاء بتوسع الإرادة ، إن الإرادة غير المتناهية متعبة للجسم والعقل فقط وهذا الشيء إيجابي في حد ذاته ، تأمل معي هذا البيت للمتنبي : وإذا كانتِ النفوس كباراً ::: تَعِبَت في مُرادِها الأَجسامُ . يقول الحق سبحانه وتعالى : " يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ "[69] . والحكمة هنا تعني : الإصابة في القول والفعل . وأولوا الألباب هم أولوا العقول الذين عقلوا عن الله عز وجل أمره ونهيه . فأخبر جل ثناؤه أن المواعظ غير نافعة إلا أولي الحجا والحلوم ، وأن الذكرى غير ناهية إلا أهل النهي والعقول . هل تستطيع الجدلية سد الثغرات التي ما زالت بارزة في العقلانية ، لكن من ناحية أخرى أن هناك أشياء لا ندرك ماهيتها رغم أننا نكتشف وجودها ، هذا إلى جانب المجالات العملية التي لم نستطع أو لم نجد متسعاً من الوقت لفهمها فهما عقلياً ، هذه ثغرات كبرى لم تلجها العقلانية فالعقلانية إما مطلقة وأما غير مطلقة ، مطلقة لأن كلّ ما نعرفه نعرفه بصفة واضحة ومتميزة ، ولكننا لا نعرف كلّ الأشياء . وسيكون منطلق كل العقلانيات محاولة تجاوز هذه الثغرات وتعميم مبدأ العقل عليها . يقول د. ربيع أحمد[70] : " وبالعقل يدرك الإنسان الأشياء ، ويميز بين الحسَن والقبيح ، والخير والشر، ونحن نعقل وجود العقل ولكننا لا نستطيع تصور هذا العقل رغم وجوده ، وعدم تصورنا للعقل لا ينفي وجوده "[71] . وحقيقة الأمر أن الجسم هو تطبيق لقوانين الطبيعة الإلهية وليس قواعد أخلاقية ، وإنما

---

[69]-البقرة 269

[70]-السيرة الذاتية. لا يوجد وصف.

[71] https://www.alukah.net/sharia

هو قوانين علمية اقتضتها الأوامر الإلهية ذاتها ، وأما الإنسان كقوانين الطبيعة بالنسبة إلى الكون فهو جسم وفؤاد ، فالإنسان كائن عاقل ، وأنا حين أسألك بطريقة عقلانية فإنما أفعل ذلك تمشياً مع فطرتي الإنسانية الخاصة بي بوصفي أنساناً عاقلاً ، وحين أتصرف على هذا النحو فإنما أتصرف بوصفي حراً ذا إرادة ، إنه قانون طبيعي ذلك الذي يقول إن الإنسان يفعل ما يعتقد أنه الافضل ، ولا يفعل إلا على هذا الأساس .

2. الروح

إن الإنسان جسم وروح ، فأما الروح من أمر ربي يقول الحق سبحانه وتعالى : " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا "[72]، يقول القرطبي في تفسيره "والصحيح الإبهام لقوله : "قل الروح من أمر ربي أي هو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى ، مبهماً له وتاركاً تفصيله ؛ ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها . وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا كان بعجزه عن إدراك حقيقة الحق أولى . وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له ، دلالة على أنه عن إدراك خالقه أعجز " أ.هـ ؛ أقول : هي جوهر الجسم ذاته وماهيته ، وهي من الغيبيات التي يؤمن بها العدميون فهم كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ، وهي المكون الرئيسي للنفس من خلال تخللها للجسم ، فهي موزعة في كل مكان في الجسم في كل خلية ، إنّ وجود الروح وجود غير مادّي ، لا بمعنى المحدودية والتحيز ، بل بمعنى الإحاطة الحياتية . فلا تكون إلى خلية أقرب من خلية ، بل بين جميع الخلايا ؛ فلها سلطة الحياة وقدرة النفس على ما بينهما ، فأينما ولّينا في الجسم ، فهنالك الروح ، فلا يخلو منها مكان ولا جهاز ولا غدة ولا خلية في حين لا يشتغل بها مكان ، وقد وَسِعَت كلّ الجسم قياماً وحياةً وقدرةً على النفس ، والجسم والروح ليسا مِن طَبِيعَةٍ وَاحدَةٍ ، أي أنّ كِلَاهُما مِن عَالَمِ الإمكَانِ والخَلقِ والصُّنعِ مختلف عن الآخر ماهيةً وجوهراً رغم أن كلاهما ماهيةً وجوهراً ، فهُنا لا يَصِحُّ أنْ يَكُونَ أحدُهُما ظَرفاً للآخَرِ ، كأنْ نقولَ : المَاءُ في الإنَاءِ ، فهُنا هذِهِ الأشيَاءُ كُلُّها مِن عَالَمٍ وَاحدٍ هو عَالَمُ الإمكَانِ مِن حيثُ الخَلقُ أو الصُّنعُ ، وتَمتَازُ بمَادِّيتِها ومَحدُوديَّتِها أي لها حُدُودٌ وأبعَادٌ مُعيَّنةٌ فيَصِحُّ في حَقِّها أنْ تَكُونَ ظَرفاً بَعضَها لبَعْضٍ، أمَّا إذا كانَ الشَّيئَانُ ليسَا مِن ماهيةٍ وَاحدٍ بأنْ يَكُونَ أحدُهُما مِن عَالَمِ المادَّةِ والآخَرُ مِن عَالَمِ المجرَّدَاتِ ، فهُنا لا يَصِحُّ أنْ يَكُونَ أحدُهُما ظَرفاً للآخَرِ بحَيثُ يُحِيطُ به ويَحتوِيهِ ، كمَا هو الحَالُ في إحاطَةِ الإناءِ بالمَاءِ ، وذلكَ لأنَّ المادِّيَّ لا يُحِيطُ بالمُجرَّدِ ولا يَحتوِيهِ لاخْتِلَافِ الماهية بَينهُما ، إن الروحَ في الجسم على غَيرِ ممزوجةٍ بهِ ، خَارجةٌ عنْه على غَيرِ مُباينَةٍ ، فَوقَ النَّفسِ خلال الجسم لا كشَيءٍ في شَيءٍ دَاخِلٍ وخَارِجةٌ عنْهُ لا كشَيءٍ مِن شَيءٍ خَارِجٍ . فهي فيْه كَائِنةٌ ، ولم تَنْأ عنْهُ ، فيُقَالُ : هي منْهُ بَائِنةٌ . ولا تُوصَفُ الروح بالإتصَالِ أو الإنفصَالِ عن الجسم ، ذلكَ لأنَّ الإتصَالَ والإنفصَالَ هُما مِن أوصَافِ المادة والمُمكِنَاتِ ، كدُخُولِ الجُزءِ في الكُلِّ ، أو دُخُولِ الحَالِ في المحَلِّ ، أو دُخُولِ الجسم في المكَانِ ، فالجسم إمَّا أنْ يَكُونَ مُتَّصِلاً بالمادة أو مُنفَصِلاً مُتنَائِياً عنها ، والدُّخُولُ بهذا المَعنَى مِن تَوابِعِ الإمكَانِ والإفتِقَارِ ، والروح وَاجِبةُ الوُجُودِ لأمر الله فلا يَفتقِرُ الجسم إلى شَيءٍ آخرَ مُطلَقاً حتى يَحِلَّ فيه أو يَحتَاجَ للبَينُونَةِ حتى يَكُونَ مُتميّزاً عنْه ، إن الروح اسم فضلٍ للحياة كالعشق اسمٌ لما فُضّلَ عن المحبة ، كما أنّ السّرف اسمٌ لما جاوز الجود ، والروح خَفيَّةٌ أن تُرى ، وجليلةٌ أن تَخفى ، فهي كامنةٌ في الجسم ككمون النار في الحجر إنْ قَدَحْتَهُ أوْرَى وإنْ تركته تَوَارى ؛ في نهاية رحلة الحياة تغادر الروح أجسمنا منفردةً إلى بارئِها ، لا يرافقها سِوى الأعمال الصالحة . اللهم اختمْ بالصالحات أعمالنا . فإذا غادرت الجسم صار جسداً ، والجسد إذا وضع في الأكفان صار جثةً . فكن متميزاً في تفكيرك فبعض العقول كما يقول العامة : تحتاج إلى إعادة ضبط المصنع ؛ يقول كانط : " التنوير هو خروج الإنسان من حالة العجز الذاتي وحالة الضعف التي وضع بها نفسه وهي الحالة التي يعجز فيها الإنسان عن استعمال عقله إلاّ بتوجيه إنسان أخر نتيجة افتقاره

[72]-الإسراء85

للشجاعة والحزم اللذان يحفزاه على استعمال عقله الخاص " ، ولكن ما الذي يربط الجسم بالطبيعة كلها إنه الفؤاد . فكلما ازداد القلب فهماً ازداد العقل علماً وازداد الفؤاد إدراكاً لقواه ولنظام الطبيعة وكلما ازداد الفؤاد إدراكاً لقواه ازدادت مقدرته على توجيه النفس وكبح جماحها ووضع أحكاماً لها وكلما ازداد الفؤاد ادراكاً لنظام الطبيعة ازداد بصيرةً وازدادت مقدرة وسهولة على تحرير نفسه من الأشياء التي لا فائدة فيها . إذن بالعقل وحده نصبح أقوياء وأحرار . و "السعادة الدائمة الوحيدة هي طلب المعرفة ولذة الفهم" ، حسب سبينوزا [73] . والفهم هو استيعاب المعرفة في وعاء القلب فيغرف منها العقل الناضج ما يريد ويترك ما يريد وهناك يصبح متمدناً . إن العقل مأوى الفكر والقلب مأوى الفهم والجسم مأوى الروح بينما العقلانية تجري بين هذه الدوائر ، أصبحت الروح كاللامعقول تهمةً تستعمل في الصراع الإيديولوجي بين الأفراد ، أما الفسفة فقد أُلصقتْ بها جميع الصفات السلبية ولذلك وظفت كمطية للإقصاء والتهميش الذي يتعرض له المناوئين والمنتقدين والمخالفين ، أما الجسم فهو رمز إلى الواقعية وكل ما هو الحقيقي ولو كان غيباً ومنطقي وموضوعي ويرتبط بالعلم والمعرفة ، ويحوز على قدر كبير من القيمة الإبستيمولوجية والصلاحية الأكسيولوجية[74] . غير أن المعضلة لا تكمن في الحدين كل على جهة بل في تحديد المعايير التي بواسطتها يتم التمييز بين الجسم والروح ورسم الخطوط التي تفرق بين مجال الخيال الروحي ، والظن والعبث والوهم والفانتازيا الجسمية ، ومجال التطابق والوحدة والكلي بينهما والحق والنظام . فهل تكفي لام النفي لنجزم بعدم بجود تنافر بين الروح والجسم ؟ ، وإلى أي مدى يتقدم الفكر العقلاني ليربط بينهما ؟ ، أنا لست فيلسوفاً ولكنني أعرف كيف أتكلم ؛ وهكذا نحاول استكشاف للمناطق التي لم تصلها تجربة عقل حول الروح بعد والتي مازلنا نُسميها غيب الغيبيات ، عكس الجسم الذي سُبلتْ أغواره كلها تقريباً ، ألا تحتوي هذه الروح على قدر مخصوص من العقلانية مايزال مطموراً في رمزيتها ومنطقها الفريد ؟ ، فهل يمكن أن نعتبر الروح هي الآخر الذي ينهل منه الجسم ويمثل شرط امكانه ؟ . على ضوء هذه الاعتبارات نكون قد تسلحنا نسبياً بغية تقييم طبيعة العقل ومناقشة العلاقة بين الجسم والروح . إذ منذ اللحظة التي يكون فيها العقل ملكة معرفية فإنه يقطن الإنسان من حيث هو موهوب بالقدرة على المعرفة ولا أن يعرف حقيقة الموضوع ، والحق أن المشكل يتعقد عندما يكون موضوع المعرفة هو الإنسان نفسه بوصفه ذات عارفة . بعبارة أخرى لا تكون الروح مفكر فيها إلا إذا كنا نحن الذين فكرنا فيها . فهل ستصبح هو على هذا النحو ؟ ، نحن لا نعرف عنها شيئاً . وكل ما نقدر على معرفته هو أنه من الممكن جعلها شيئا غيبياً . وهذا هو أُس العقل . فهي ليست البتة في متناول الوعي البسيط حيث أنها الإحساس الغامض على الأرجح بأن يكون حاضراً إلينا قبالة ما يجري في الواقع ، بالمعنى الذي لا يكون فيه إدراكنا مغموراً بالذكريات والانتظار . إن الجسم على العكس هو البعد النشيط الذي يحاول أن يعكس وينظم ويوجه الوعي الذي يخصنا وذلك بإنشاء الانسجام في أفكارنا والتساوق في حركاتنا عن طريق العقل . هكذا تكون حركة جسمية للفهم أو التفسير وبعث الجسم في الوجهة . وماهو جوهري أن يكون أخذ المكان في العلاقة أمراً صحيحاً بل أن الوجود لن يبذل الجهد من أجل بلورة علاقات مقصدها التوجيه نظرياً وغيبياً . إن الجسم يتمثل دائماً في تطبيق الفكر من أجل تحقيق الانسجام النفسي بكل المقاييس الممكنة بين الفكر والتنوع

---

[73] - https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=699934مفكر وباحث فلسطيني غازي الصوراني

"باروخ سبينوزا"بالهولندية (Baruch Spinoza :هو فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن 17. ولد في 24 نوفمبر 1632 في أمستردام، وتوفي في 21 فبراير 1677 في لاهاي.

[74] -الأكسيولوجية (الأكسيولوجيا) بالإنجليزية Axiologie : وهو العلم الذي يدرس علم القيم المثل العليا والقيم المطلقة ومدى ارتباطها بالعلم وخصائص التفكير العلمي باعتبار المعرفة، ويكيبيديا

المجهول للروح . يبدو أنه من غير المتاح الحصول على توافق وتطابق فعليين بين الروح والجسم لما نفترض مسافة يصعب قياسها بين مفاهيمنا المتناهية والانبثاق المجهول للروح . على خلاف ذلك يتعلق الأمر بالمجهود الذي لا يكتمل دائماً ولا يظل محل إعادة بسبب الحركات والتدخلات ذاتها للجسم في مجرى الأشياء والمفاجئات السعيدة أو الكارثية التي تحدث باستمرار . ويتمثل الجسم في المساءلة المستمرة للتوجِيهنا بغية مصالحة اهتمامنا بالاكتشافات التي يتم إنتاجها ، عندئذ ثمة أخطاء دائمة في درجة الوعي أو دقة الإدراك . أما إذا كان الانسجام في أحكامنا وسلوكنا غير معطيين على الإطلاق بل هما أثر الوعي فإننا لا نقدر على فرضه بشكل عابر من الخارج ، وعلى سبيل المثال رسم فصل جذري بين الأخلاق طالما أن الحدود تكون داخلية بالنسبة الوعي ذاته . ويتمثل خطأ الجسم من حيث هو خليط بين المادة واللامادة في أنه يعتقد أن الحد ليس داخلياً بل خارجياً ، حتى نجعل منها أنشطة الجسم وتبعاً لذلك نجعل الجسم كل ماهو واقعي . بيد أن الجسم ليس محدوداً في العلم وحده لأن التجربة والتراث والحكمة تتضمن مجهوداً في العقلنة بنفس عنوان التوقع واليوتوبيا[75] أو الإستشراف[76] . إن العلاقة بين الروح والجسم هي الحياة نفسها ، أي أنه إذا غادرتْ الروح الجسم ماتَ فصار جسداً ، وهذا هو الفرق بين الجسم والجسد . يقول الحق سبحانه وتعالى : " وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ" [77]؛ "فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ"[78] ؛ "وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ"[79] ؛ "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ"[80] . " ، نلاحظ أنها كلها أجساد بدون أرواح ، وقال الحق : " إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ" [81] ، نلاحظ أنه جسم بروح . وهكذا وقع كثير من الفلاسفة والكتاب العرب في هذا الخطأ اللغوي .

---

[75]–اليوتوبيا هي قصة خيالية فلسفية وسياسية كتبها الفيلسوف والمفكر البريطاني توماس مور ونشرت باللغة الاتينية عام 1516 ، وتروي القصة التقاليد السياسية والأعراف الدينية والاجتماعية لجزيرة معزولة وغير معروفة. ابتكر توماس مور توماس مور فيها هذه التسمية، إذ أطلقها على مكان لاوجود له في أي مكان، وعلى حضور غائب، وحقيقة غير حقيقية.

[76]–يعد الاِستِشْرَاف بالإنجليزية flashforward : أو التأريخ السَّبقيّ أو التَبْكيرُ أو ما كان يعرف بالتوقع البلاغي بالإنجليزية prolepsis : مشهدًا يدفع مؤقتًا بزمن السرد من النقطة الحالية إلى مستقبل القصة في الأدب والسينما والتلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى. غالبًا ما يستخدم الاستشراف لتمثيل الأحداث المتوقعة أو المرسومة مسبقا أو المتخيل حدوثها في المستقبل .

[77] –الأعراف 7

[78]–طه 20

[79]–الأنبياء 21

[80]–ص 38

[81]–البقرة 247

3. النفس

والذات نقلت من الإنجليزية Self لماذا ؟ أليست النفس أفضل ترجمة ، والنفس ممتدة بين القلب والفؤاد ، وهذا هو مثلث الحياة ، وإذا كانت الروح محرك الجسم فإن النفس وقودها ، فإذا انقطعت النفس مات الجسم وخرجت الروح منه ، فإنك لنْ تخرجَ من ذاتِكَ على ذاتك ، ولنْ تدخلَ في ذاتكَ عبرَ ذاتك ، أو ترى ذاتكَ من خارج ذاتك ، وأنْ تُبصِرَ ذاتكَ من داخِلك . كُلُّ ذلكَ لا يعني إلاّ تأملكَ في جوهرك . إن النفس قوة حضوركَ في جوهرك ، يعني أنّكَ تتفرّدُ في بصمة شخصيتك ، وتتكاملُ في اللاوعي ، وتزهو في رحابةِ فكرك وتتخلّقُ متجدّداً في بناء حياتك . إن مفهوم النفس هو من المفاهيم التي تدور في الذهن على هيئة سؤال من أنا ؟ ومن منا لم يسأل نفسه هذا السؤال ؟ النفس ترشدنا على الأمور ، وتمنعنا عن بعضها ، النفس هي مجموعة كبيرة من الصور والعقائد والأفكار. أي أن النفس هي التي تبني الذات وتكون شخصية الفرد ، فالفرق كبير بين النفس الذات وأهم الفروق هو موت النفس ، يقول الحق : " كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ[82] " ، ويقول "وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "[83]؛ أما الذات فهي معنوية لا تحي فتموت ، وأما تعريف النفس بأنها هي المسئولة عن ترجمة السلوك الذي يقوم به الفرد على مدار حياته أو على مدار اليوم الذي يعيشه فلا يصل إلى معاني القرآن الكريم بل ذلكم تعريف الذات . وفي ثلاثية القلب والعقل والنفس يتشكل وعي الفرد فهي بذلك قوة الفؤاد ، وتتكون النفس من تخلل الروح للجسم فهي بذلك قوة الروح ، إن النفس هي جوهر الحياة لكن في ثلاثة معاني : «الفؤاد والجسم والروح» كل معنىً مستقل بذاته مغاير في مادته وطبيعته ، في هذا السياق فإن «الطبيعة» هي ما يكون الجسم ، في حين أن «الفؤاد والروح من يحتوي النفس» والعلاقة بين الثلاثة متكاملة تكون الفرد ، فبينما نفخت الروح في الجسم تم ذلك بواسطة النفس ، وبينما يعتبر الجسم معنىً خاصاً يطلق عليه في الوقت نفسه "الوعاء" ؛ وجوهر النفس غير مُدرك ، ولا يمكن التعبير عنه ، كما لا يمكن إدراك الروح لأن طبيعة الخلق لا نهائية ومن الصعب فهمها ، ولأن الخالق سرمدي أزلي لا يمكن أن نفهمه غير قول الحق : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[84] أدل شيء على أنه لا يمكن وصفه ، و ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[85] أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك . فهو والحال هكذا لا يمكن إدراكه ولا يمكن فهمه بالتمام . لذلك فما ننسبه للنفس من صفات النفي بأنها غير ملموسة ولا نستطيع أن نحتويها وأنها غير محدودة في الزمان والمكان . وكذلك الصفات الإيجابية التى نصفها بها مثل البر والصلاح والحكمة ، هذه التعبيرات ليست حقائق موضوعية ، ولكنها ذاتية منسوبة للنفس ، لذلك فهي تعبر بالتمام عن حقيقتها وتكشفها ، إنها لا تكشف طبيعتها ، وإنما عن صفات هذه الطبيعة . وهكذا فإن ما أعتقده هو : أن النفس واحدة في ذاتها ثلاثية في معانيها ، مختلفة في جوهرها ، والنفس تموت يقول الحق : "وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ"[86] ، فإذا ماتت النفس خرجت الروح من الجسم ويعود تراباً يقول الحق : "إن

---

[82]- آل عمران 185

[83]-الأنعام 151

[84]-الشورى 11

[85]-الأنعام 103

[86]-الفرقان 68

تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ"[87] ، ولأن الجسم لا يفنى فيعود إلى ما كان عليه قبل الخلق . وترجع النفس إلى بارئها يقول الحق : "يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةَ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً"[88] أي المعاني الثلاثة معنىً للجسم الواحد ، والسؤال هنا : النفس غير المطمئنة إلى أين تذهب ؟ أعتقد أنها النفس الأثِمة ؛ وأنواع الأنفس في القرآن ثلاثة هي: النفس الأمارة بالسوء : وهي النفس الحريصة على دفع صاحبها نحو مخالطة المعاصي ، وتزيين الشهوات والإيقاع به في المهلكات ، ومثلها ما ذكره الله على لسان امرأة العزيز :﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[89] ، وهذه أسوء أنفس الآدميين . والثانية النفس اللَّوَّامَةُ : هي نفس تترنح بين الخير والشر، تغالب شهواتها تارة وتسقط في حمأة المعصية تارة، فصاحبها يستحضر الملامة والحسرة والخشية عقب اقتراف أي ذنب فيتوب ويؤوب ، قال تعالى :﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾[90] ، وهذه نفس طيبة لأنها رجّاعة إلى الحق ولا توجد بها مادة الإصرار والتحدي . والثالثة النفس المطمئنة : وهي النفس الموحدة التي رضيت بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، فبلغت من كمال الإيمان ولطائف الإحسان ما جعلها ترتقي في مدارج العرفان ، فاطمأنت بوعد الله ورغبت فيما عنده دون سواه ، قال تعالى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾* ، لكن تلك الثلاثة «الفؤاد والجسم والروح» مرتبطون ببعضهم ، وغير مشتركين في الجوهر . وهكذا ففي الجوهر الواحد : النفسُ موجودة في هيئة المعاني الثلاثة المتساوية وغير المنقسمة ، ولكن هذا جوهرها الإلهي ليس قاصراً على معنىً دون الآخر بأي حال . أيضاً فإنّ الذي لا ندركه أن المعاني الثلاثة ليست أجزاء من كُلٍّ ، كأن نقول أنّ النفس منقسمة إلى ثلاثة ، ليست صفات وليست أشكال وليست مفاهيم أو تعبيرات ، بل كل معنىً قائم بذاته في الجوهر الواحد المشترك بينهم . وكل معنىً من الثلاثة يعمل بطريقة متميزة ولكن في نفسٍ واحدة . من وجهة نظري فإن النفس كائنٌ في ثلاثة جواهر مختلفة ومتعددة في نفس الوقت هي الفؤاد والجسم والروح ، بينما لا نعترف بمساواة المعاني الثلاثة في الصفات والعمل والإرادة ، ولا يمكن فصل أي منهم عن الآخر لا بالزمان ولا بالمكان ولا بالإرادة أو بالعمل ولا بأي نوع من المشاعر البشرية . بل كلها على نحو متماثل مخلوقة وقادرة قدرة البشر، فثلاثتهم يتمتعون بشراكة حياتية معاً ، "والحياتية" هي أن النفس واحدة تظهر في ثلاثة أحوال مختلفة على اختلاف جوهرها في نفس المكان والزمان ، يجب علينا ألا نتصور وجود ثلاثة جواهر منفصلة عن بعضها البعض ، لأن الاتصال ينتج الطبيعة البشرية المجردة . وبالرغم من ذلك فإن هناك بالفعل شيئ مرئي واحد وهم الجسم ، فالنفس هي الينبوع والجسم هو الماء والتيار هو الروح . وهكذا فإن الروح تنتقل في الجسم بانسياب بلا انقسام ، فإذا جف الينبوع مات كل شئ . كالروح خرجت من النفس ، كالنفس أُتيت للجسم ، والجسم لا يخلو من الروح بحسب جوهره . ولا تشترك المعاني الثلاثة في الخواص الجوهرية جميعاً ومن أمثلتها الحكمة والحق والعقل والحياة ، ولكن النفس تشملها جميعاً ، يقول الحق : "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ"[91] ، ويقول الحق : " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا "[92] ، ويقول الحق : " وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ "[93] ، ويقول الحق : " وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ

---

[87]-الرعد 5

[88]-الفجر 26 ، 27

[89]-يوسف53

[90]- القيامة 2

[91]-البلد 10

[92]-الإنسان 3

[93]-يوسف 53

عَنِ ٱلۡهَوَىٰ"[94] ،"إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ "[95] ، كل شئ متعلق بالنفس الخير والشر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واتباع سبيل الغي والضلال ، والعدالة والسعادة والعقل وحب الحياة وحب النفس والحب بعمومه وأشكاله ، وقوة الشخصية ، والحكمة ... الخ .... ؛ لا أعلم هل وصلتُ إلى ما تكنه هذه الكلمات من المعاني أم لا ، فقد حاولت إيضاحها على وجه الكمال والتفصيل ، ومع ذلك فمن يقرأها ربما لن يقف على المعنى المراد ، إذ يجدها تشير إلى معاني مختلفة ظاهرها غير مترابط ، وداخلها أزلي منسوب إلى الله يفوق الإدراك ، فما لمّح إليه الفكر صرّح به القلم كل التصريح ، لأن اختلاف الجوهر لا يناقضه تعدد المعاني ، وكل من أنار الله ذهنه وفتح قلبه لا يقدر أن يفسر الكلمة بمجرد قرأتها أو قول مفرد ، ولا تفسر المفاهيم بالقوة التأثيرية . إنّ الذات شخصٌ حيٌّ ، وليست جسماً مادياً ، يمكن أن يرى ويلمس ، أو يدرك بالحواس . وهذا اختلافها عن النفس ؛ وأن لكل من المعاني الثلاثة ما للأخر من الصفات الحياتية ، و الأنا[96] "الواعية" . وحينما نتأمل هذا الوجود نجد أنفسنا أمام أسرار من أعماق أسرار والحياة . ونجد اللغة لعاجزة عن التعبير عن عمق هذه الأسرار . وكل من ابتغى الخلاص الحقيقة وجب عليه قبل أنْ يتمسك بالإيمان ، هذا الإيمان هو التوحيد كما جاء عند أهل السنة والجماعة ؛ ولمعرفة النفس نمزج المعاني الثلاثة ونفصل في الجوهر ، فالفؤاد يسيطر على الكل بما تهوى النفس وما الجسم إلا ألعوبة بينهما ، والروح ضابط إيقاع الكل ، وليس الثلاثة بمسيطيرين على الكل ، بل واحد مسيطر على الكل . أي كلاً من هذه المعاني ليس قائم بذاته ، والنفس تتصف بصفات كالسمع والبصر والكلام والعلم والارادة والمحبة فلا يمكن أن تقوم هذه الصفات إلا بين أكثر من معنىً وهذا يستلزم وجود المعاني الثلاثة . وإنّي لأعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهية العقل فإن الثلاثة لا تكون واحداً والواحد لا يكون ثلاثة ، فذلك لا يدل على تعدد النفس لأن الروح والجسم والفؤاد هم ذات النفس بعينها . أعتقد أنني أحاول أن أُخضع تلك الأمور التي تفوق العقل لأفكار بشرية ، تلك الأمور التي اعتقد أنه يجب أن يُنظر إليها فقط بالإيمان الخالي من كل شك ؟ وبكل تقوى وأن نُفكِّر بطريقة سليمة كيف أننا نسجد أنفسنا . الخلق من الأسرار الإلهية وادِّعاء أنَّ هذه المسألة «تفوق العقل» يصبح الإيمان هو : عدم التَّصديق بالشئ بالنَّظر إلى مَدَى عقلانيته . والحقيقة أن الدين يتفوق على العقل ولذلك ينبغي أن نُصدِّقه وإن كُنّا لا نُدركه . فنقول أنَّ الدين هو ما لا يُناقض العقل ، بل ما يفوقه ويسمو عليه .

---

[94]–النازعات 40

[95]–الرعد 11

[96]–الأنا كما وصفها فرويد هي شخصية المرء في أكثر حالاتها اعتدالاً بين الهو والأنا العليا، حيث تقبل بعض التصرفات من هذا وذاك، وتربطها بقيم المجتمع وقواعده، حيث من الممكن للأنا ان تقوم باشباع بعض الغرائز التي يطلبها الهو ولكن في صورة متحضرة يتقبلها المجتمع ولا ترفضها الأنا العليا. مثال: عندما يشعر شخص بالجوع، فان ما تفرضه عليه غريزة البقاء (الهو) هو أن يأكل حتى لو كان الطعام نيئاً أو برياً، بينما ترفض قيم المجتمع والأخلاق (الأنا العليا) مثل هذا التصرف، بينما تقبل الأنا اشباع تلك الحاجة ولكن بطريقة متحضرة فيكون الأكل نظيفاً ومطهواً ومعد للاستهلاك الآدمي ولا يؤثر على صحة الفرد أو يؤذي المتعاملين مع من يشبع تلك الحاجة.

4. المرأة

وللمرأة عقل كعقل الرجل خِلقةً أمّا فعلاً فهو الشرّ كله . في كتابه " الإصابة في منع النساء من الكتابة "، يقول خير الدين نعمان بن أبي الثناء الألوسي[97] : " أمّا تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله ، إذ لا أرى شيئاً أضرّ منه بهن ، فإنهن لما كُنَّ مجبولات على الغدر كان حصولهن على هذه الملكة من أعظم وسائل الشرّ والفساد "[98]، وأمّا السبب الذي يصيغه بن أبي الثناء فهو أن الكتابة ستسمح للنساء بمكاتبة عشاقهن . إذن هو غواية وطريق لأجسادهن وليس وسيلة لإعلاء شأن العقل كالرجل ، وهذا قولٌ فيه تجني كبير على المرأة . لا أقول إنهن غير عاقلات ولكننا نعيش مع كائنات لا تستعمل عقولهن تماماً ، مع ذلك فاللبيب من الرجال من ترك زوجته وبناته في حالة من النور وليس العمى ، فهو أصلح لهن وأنفع ، ذلك ليس خوفاً من النساء وغوايتهن ، بل إنك ستحمل خشيةً من جهلهن ؛ وعلى أية حال فإنهن سوف ينازعنكَ في ميراثِكَ عاجلاً أم آجلاً ، فما وجدت رجلاً عظيما إلاّ ورآه إمراةً شريرة ، وما وجدت إمرأةً ناجحة إلاّ ورآها رجلاً عظيماً . تشكلت هويتهن على أجسمهن معرفة كاملة ، ليبرعن في الجنس وإغراء الرجال ، مع إنكار الذات وما أمكن من قدراتهن العقلية ، ليصبحن كائنات متوحشة في جسم إنسان ، بينما إذا استخدمت المرأة عقلها بدتْ شاذة وغير مرغوب بها ، لأنها تغيّب عقلها وهو موجود ، فمثلاً تستمر في البحث عن ذَكَرٍ فإذا تزوجت المرأة عادة إلى طبيعتها المتوحشة ، تقول أجاثا كريستي[99] : " حاول أن تتزوج وأنت صغير لأنك إذا كبرت ستعقل ، والإنسان العاقل لا يتزوج ". أما سارتر[100] فيقول : " نجوت من الموت بأعجوبة مرتين ، الأولى حادث سير ، والمرة الثانية كدتُ أن أتزوج " ، وقيل : لو كمل عقل المرأة لتدمر الرجل ، لكن الله أنقص عقلها وأكما عاطفتها ، لكي تستمتع فهي صاحبة المعروف وليس الرجل ، لو ارتفع عقلها لوجدت الرجل يقوم بأعملها في المنزل ، فالحمد لله الذي سخرهن لنا ، اللهم اغفر لهن وارحمهن ، والذين يقولون أن المرأة معوجة فإن هذا الإعوجاج أصله من الرجل يقول الحق سبحانه : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا "[101] ؛ وقيل : المرأةُ شرّ كلها وشر ما فيها أنه لابد منها ، ليحمل الرجل راية العقل عنها ويتكلم باسمها ، وهكذا : "أنا بدون نساء أنا بخير" ، "أعرف رجالاً يكذبون ، ولكني لا أجد هذه (النقيصة) إلاّ عند النساء" . يقال بأن رجال السلطة في العصور الوسطى في أوروبا كانوا يقيدون المرأة سليطة اللسان أي التي تستخدم لسانها وتجال وتقنع إلى كرسي ، ويقومون بتغطيسها في مياه النهر عدة مرات من أجل إطفاء النار الملتهبة في لسانها أو يلبسونها قبعة معدنية يمتد منها قناع يغطي فمها . قال رسول الله ﷺ : "ما رأيتُ مِن ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أغلَبَ لذَوِي الألبابِ وذوِي الرأْيِ منكُنَّ قالتِ امرأةٌ يا رسولَ اللهِ وما نقصانُ عقولنا ودينِنا؟ قال: شهادَةُ المرأتَيْنِ منكُنَّ بشهادَةِ رجلٍ ونُقْصانُ إحْداكُنَّ الحَيْضُ، تَمْكُثُ الثَّلاثَ والأَرْبَعَ ولا

---

[97]- نعمان خير الدين بن محمود بن عبد الله بن محمود الآلوسي، واعظ، وفقيه، وباحث، وداعية وهو من أعلام الأسرة الألوسية. وهو من دعاة السلفية إذ عاصر فترة ظهور دعوة مُحَمَّد بن عبد الوهاب، وكان من المنادين لها في العراق. 1252هـ/1836م : 1317هـ/1899م . ويكيبيديا

[98]- د. مُحَمَّد حسين اليوسفي"السيرة الذاتية لا يوجد توصيف".https://www.albayan.ae/opinions/articles/2012-05-24-1.1655545

[99]- أجاثا كريستي: أجاثا كريستي بالإنجليزيةAgatha Christie : أو تقرأ أجاثا ميري كلاريسا بالإنجليزية Agatha Mary Clarissa : وتعرف أيضًا بالسيدة مالوان بالإنجليزيةLady Mallowan ، (ولدت في 15سبتمبر 1890 وتوفت في 12يناير1976) ، هي كاتبة إنجليزية .

[100]- جان-بول شارل ايمارد سارتر بالفرنسية Jean-Paul Sartre : 21 يونيو 1905 باريس15 : أبريل 1980 باريس، هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي كاتب سيناريو وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. بدأ حياته العملية أستاذاً.

[101]النساء 1

تُصَلِّي"[102] . بين عليه الصلاة والسلام أن نقصان عقلها من جهة ضعف حفظها وأن شهادتها تجبر بشهادة امرأة أخرى ؛ وذلك لضبط الشهادة بسبب أنها قد تنسى فتزيد في الشهادة أو تنقصها ، كما قال الحق سبحانه : " وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى "[103]. ورغم ذلك كله فإن الرسول ﷺ أوصانا بالإحسان إلى النساء في موضع كثيرة منها مثلاً : "رفقاً بالقواريرِ"[104] . "خيرُكمْ خيرُكمْ لأهلِهِ، وأنا خيرُكمْ لأهلِي"[105] . "إنما النساءُ شقائِقُ الرِّجال[106]. "استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً "[107] . كما أوصانا الحق بأن لا نُحْزِنَ النساء فيقول الحق : (فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) [108] . "وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ"[109] . "فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ"[110] . "فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"[111] . التفسير القرآني والديني لإصرار الله عز وجل على ألا تحزن المرأة هو رقتها وأنها لا تقدر على هذا الحزن ، بينما علمياً الحزن يؤثر على الغدد المفرزة للهرمونات الأنثوية[112] ، "فكم حزينة لم تنجب وكم حزينة تساقط شعرها وكم من حزينة شحب لونها ، لذا لا تجرح أمك بكلمة ولا تقسو على أختك ، بل ابتسم لها ، ولا تحزن زوجتك ، ولا تكسر قلوبهن ، فلا يكرمهن إلا كريم ولا يهينهن إلا لئيم ، كما بين المصطفى ﷺ ، وأن الرجل أفضل منها في كل شيء" [113] ، والرجال أفضل من جنس النساء لعدة أسباب ، قال الحق سبحانه وتعالى : " الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ "[114] . أي أن عجز المرأة عن التفكير السليم طبعاً فيها ، وإن بدت المرأة ذكية فهي مسترجلة ، وحين تبدع بشكل قاطع يُشَكُّ بها ، فمازالت جملة "ابن حزم"[115] تتردد بصيغ مختلفة إلى يومنا ، فهو يراهنّ في كتابه " طوق الحمامة " : " متفرغات البال من كلّ شيء . فقد تربيت بين أيديهنّ فما تعلمت منهن مفيداً ، وهنّ علمنني القرآن وروينني كثيراً من الأشعار

---

[102] _ الألباني (ت 1420)، تخريج كتاب السنة 956

[103] – البقرة 282

[104] – الألباني (ت 1420)، جلباب المرأة 33 / أخرجه البخاري بمعناه

[105] – الشوكاني (ت 1255)، فتح القدير 635/1 صحيح

[106] – السيوطي (ت 911)، الجامع الصغير 2545 صحيح

[107] – الألباني (ت 1420)، صحيح الجامع 960 ، صحيح ، أخرجه البخاري (5186)، ومسلم (1468) باختلاف يسير.

[108] – مريم 24

[109] – القصص 7

[110] – طه 40

[111] – القصص 13

[112] https://amrkhaled.net/Story/

[113] – المصدر السابق

[114] – النساء 34

[115] – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي 30رمضان 384 هـ 7 / نوفمبر994 م.قرطبة– 28 شعبان 456 هـ 15 / اغسطس1064 م ولبة ، يعد من أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا بعد الطبري، وهو إمام حافظ .فقيه ظاهري، ومجدد القول به، بل محيي المذهب بعد زواله في الشرق .ومتكلم وأديب وشاعر ونسّابة وعالم برجال الحديث وناقد محلل بل وصفه البعض بالفيلسوف كما عد من أوائل من قال بكروية الأرض، كما كان وزير سياسي لبني أمية، سلك طريق نبذ التقليد وتحرير الأتباع، قامت عليه جماعة من المالكية وشرُد عن وطنه. توفي لاحقاً في منزله في أرض أبويه منت ليشم المعروفة بمونتيخار حالياً، وهي عزبة قريبة من ولبة. ويكيبيديا

ودرّبني في الخطّ " ؛ إلّا أنه أورد آراء فيها تشكيك بهنّ في نفس الفقرة ، حيث يقول بأنه فطر على سوء الظن بالنساء : " أصل ذلك غيرة شديدة طُبعت عليها وسوء ظنّ في جهتهنّ فطرت به " . والمقتطفان من كتابه طوق الحمامة . إن عقل المرأة مفطور على مراقبة الناس وفهم تصرفاتهم ، والتأكد من أنها قد حشرت أنفها في كل صغيرة وكبيرة ، لتقلب حياتها وحياة غيرها سوءاً فسوءاً ، لذلك فإنّ " البيوتَ مفتوحةٌ بصبر الرجالِ "[116] ، ويقول أستاذ علم النفس العلاجي دانيال فريمن من جامعة أكسفورد : « النساء أكثر عرضة من الرجال للقلق والكآبة والحزن » ، إذاً المسألة ليست تجنياً أو شخصنة ، إذ يسند ذلك أبحاث عدة تؤكد أن الأنثى التي نحاورها يحدث في دماغها وجسمها أنشطة تؤثر على سلوكها ، الأمر الذي يستقيم معه المبالغة في نقدها ومقارنتها بِالذكور . ليس هذا فحسب بل إن معاشر النساء « يتعرضن إلى مشكلات صحية ذهنية أكثر من الرجال ، وذلك بنحو 20 إلى 40 في المئة » بحسب ما ذكره د. فريمن في تقرير لصحيفة « التايمز » اللندنية ، وهو ما كشف لنا استطلاعاً للرأي أجرته جمعية علم النفس الأمريكية APA عن الضغوطات في أمريكا عام 2012 ، تبين فيه أن « النساء ما زلن يشعرن بمعدل ضغوطات أعلى من الرجال » ، ففي مقياس من عشر نقاط تبين أن نحو « ربع النساء (23 %) يشعرن بضغوطات تصل لنحو 8 إلى 10 نقاط » ! وهي أعلى مستويات الضغوطات"[117] . ويعترض عقل المرأة ما يعترض سائر البشر من تغيرات بيولوجية ، منها تعدد ما يؤثر على المزاج من تغيّرات تجعل مزاجها مضطرباً بحسب الخبراء الأمر الذي ينعكس على مزاجها ، ويزيد الطين بلة لا سيما عندما تثقل كاهلها الضغوطات الحياتية المستمرة الأمر الذي يؤثر سلباً على تفكيرها وإدراكها وبالتالي على سلوكها . إن المرأة مفطورة على الاهتمام بنفسها ، غير أن حقيقة الأمر أن عقلها جُبِلَ على حمل همها وتحويله إلى همٍ لغيرها ، كأبنائها وزوجها ومن حولها ، وسائر ما يثير اهتمامها . وهي كما يصفها أستاذ علم النفس د. جون غراي[118] « تهتم كثيراً بمشاكلها ومشاكل غيرها » ، وذلك في كتابه الرائع « الرجال من المريخ والنساء من الزهرة » ، وهو الذي قال إن اهتمامها مُنصب على التأكد من أنها تلقى العناية اللازمة caring من الشخص الذي تحبه حيث إن اعتناء الناس بها يأتي في رأس قائمة اهتماماتها أو أولوياتها ، في حين ذكر أن الرجل يتربع على رأس قائمة اهتماماته « تقدير » شريكته حياته لهappreciation ، فهو يحب التقدير ويؤثر فيه .كما أن عاطفتها جياشة في أماكن تفوق الرجل بمراحل ، وهذا كله يجعلنا نشكك في عقلها وقدرتها على التفكير بحيث لا تستطيع أن ترتب الأفكار ، وأن عاطفتها غالبةٌ على عقلها فترى فؤادها يختلف على فؤاد الرجل ، فترها إذا أحبت فإن حبها شهوةٌ وعلاقةٌ ، فإذا تزوّجت فإنها تكثر "اللعن وتكفر العشير"[119] . لأن بهذا الاختلاف يكمل الرجل " أنا بدون نساء أنا بخير " . ذلك عكس ما يذهب إليه عقل الرجل الناضج الذي لا يثق في تفكيره إلاّ عندما يتأكد أن الشهوة لا تتحدث بداخله ، وقد نُسب إلى سيدنا علي ﷺ أنه قال : " اتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ، وَلاَتُطِيعُوهُنَّ فِي المَعْرُوفِ حَتَّى لاَ يَطْمَعْنَ فِي المُنكَرِ " ؛ قال الإمام محمد بن واسع رحمه الله ك " ينبغي للرجل أن يكون مع المرأة كما يكون أهل المجنون

---

[116] – ناشطة مصرية في مواقع التواص الإجتماعي

[117] https://www.alazmenah.comمجلة الأزمنة عدد 31 مارس 2021 / د. محمد النغيمش

[118] – جون جراي)بالإنجليزية(John Gray : كاتب ومؤلف أمريكي، ولد في ولاية تكساس الأمريكية سنة 1951م، ويعيش في ولاية كاليفورنيا .ألف سنة 1992م كتابا اشتهر عالميا وطبع منه ملايين النسخ، هو كتاب» الرجال من المريخ، النساء من الزهرة «والذي يعتبر دليلا لفهم الجنس الآخر. تزوج السيدة بوني جراي وأنجب منها بناته الثلاثة: شانون، وجولي، ولورين .

[119] – إشارة إلى قوله ﷺ : يا معشرَ النساءِ تصدقْن فإنكنَّ أكثرُ أهلِ النارِ فقالت امرأةٌ : وما لنا أكثرُ أهلِ النارِ قال : لأنكنَّ تكثرْن اللعنَ وتكفرْن العشيرَ ؛ الراوي : عبدالله بن مسعود |المحدث : أحمد شاكر |المصدر : تخريج المسند لشاكر |الصفحة أو الرقم | 6/83 : خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح |التخريج : أخرجه الدارمي (1007)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (9257)، وابن حبان (3323) باختلاف يسير

مع المجنون يحتملون منه كلّ أذى ومكروه[120] ." ، والعجيب أنها رغم مشاغلها الحياتية والاجتماعية وضغوطاتها وتعلقها بتفاصيل حياة من حولها ، إلا أنها تستطيع أن تؤدي أعمالها الوظيفية على أكمل وجه . ويقال : ما نُهِيتْ امرأة عن شيء قط إلا أتته . وفي معناه يقول طفيل الغنوي[121] : إنّ النساءَ كأشجارٍ نبتنَ لنا ::: منهنَّ مرٌّ وبعض المرِّ مأكولُ ، إنّ النساءَ متى يَنْهَيْنَ عن خُلُقٍ ::: فإنّه واجبٌ لا بدّ مفعولُ . والمرأة إذا ما نظرت إلى نفسها في المرآة ترى نفسها قبيحة بينما ينظر الرجل إلى أماكن أُخرى . لربما نظن للوهلة الأولى أنه من السخف والرَّفاه ، أن نفكر هكذا في يومنا الحاضر ، أو يمكننا أن نقول بَدَاهة : نعم، بالطبع يمكننا ذلك ! ففي عالم يُنادي بحريّة الرأي والتعبير ، لكن إذا ما أردنا تأمل الصورةِ عن قُرب ، من زاوية المعرفة التي تُعدّ أساس الفكر وباعث التأمل ، سنجد المرأة بعيدة لا تكاد تُرى في الصورة ، إن المرأة حينما تُقرِّر الدخول لعالم الفلسفة ، يجب أن تنسى جنسها تماماً ، وإلاّ فإنّ الحقيقة ستُظهِر عكس ذلك سواءٌ على مستوى الفكر أو الممارسة . والحقيقة أنه لا يمكنني فصل هذه النظرة "الدونية" تجاه المرأة عن الواقع الذي أعيشه ، لا يُمكنني وصفه بـ"الطبقية" أو أنه شئ مورث ، بل إنها الواقيعية لا أكثر . إذ تحدّدت ملامح مجتمعنا بقيام كل فرد بالوظيفة التي تتناسب مع قدراته الطبيعية ، هذا التمييز هو أساس وجود المجتمع . كما أنه للنساء مجتمع خاص يعشنه مغاير تماماً لمجتمع الرجال ، كل ما فيه كذب ودسائس ومؤامرات مع كل أشكال الانحلال ضد الرجال ، كل شئ فيه مخالف ، يقول الحق سبحانه : " إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ "[122] " وإنما قال" عظيم" لعظم فتنتهن واحتيالهن في التخلص من ورطتهن. وقال مقاتل عن يحيى بن أبي كثير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان؛ لأن الله تعالى يقول: " إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا"[123] ، وقال: "إن كيدكن عظيم ."ا.هـ"[124] ، فإذا نظرتُ إلى المرأة كأداة إنجاب ، وهذه مساحة إنتاجها . ستقولون عنصرية تجاه "المرأة". أما إذا نظرتُ إلى الممارسات الفكرية أن المرأة لم تُخلق للحكمة ، فستقولون متخلف ، ولكن الحقيقية التي لا يريد أحد التصديق بها : أنك مهما حاورت المرأة فإنها لن تبلغ لمستوى تفكيرك على رأي إيمانويل كانط : " أن عقل المرأة لا يرقى إلى عقل الرجل " إن الفلسفة "الخلّاقة " تدعوا دائماً إلى إعمال الفكر والتدبر ، ونبذ الوهم والتحرر من سلطان المجتمع ، لذلك لا تستطيع المرأة على الإمساك بزمام أمورها ، أو أن تتحرر من الثقل التاريخي والاجتماعي المكبّل لقيمتها الإنسانية ، وحينما تريد المرأة أن تتفلسف فيجب أن يكون الرجل موضوعها ومحورها ، وإلا لن تنجح . "إن بلوغ الحكمة هو خروج الفكر عن قصور العقل لإرشاد الغير" . وإن المرأة نفسها مسؤولة عن حالة العجز إذا كان السبب في ذلك ليس نقصاً في عقلها كما تدعي ، المرأة ينقصها الحزم والشجاعة في استعمال عقلها دون إرشاد الغير . تشجّعي فمن السهل على الآخرين أن يُنصِّبوا أنفسهم أولياء عليكِ . ستقولون تأثر بكانط ، كانط خاطَبَ الرجل وحده ، باعتباره الوحيد الذي يملك عقلاً ويستطيع أن يفكر . إنّ المرأة جزءٌ من المجتمع ولا ينهض إلاّ بنهوضها ، هذه الجملة قد تكون خطاباً ثوريّا على خوفها من الإثم والخطئة ، وعلى رأي أن نيتشه فإنّ الخطيئة الحقيقية للرجل وحده دون المرأة . فنيتشه في غير مقولته الشهيرة عن "إذا ما ذهبتَ إلى النساء.. فلا تنسَ السوط" ؛ ما هذه الفلسفات ، في الكثير من مواضعها إلا انفعالات عاطفية من خلال تجارب حياتية لا تعرفون سياقها ، وهو الأمر الذي

---

[120] - الإمتاع والمؤنسة (ج1 ص 242)

[121] – طفيل بن عوف بن كعب، ويكنى أبا قران ، من بني غني، من قيس عيلان، 13)ق.هـ 609/م) شاعر جاهلي فحل، من الشجعان وهو أوصف العرب للخيل وربما سمي (طفيل الخيل) لكثرة وصفه لها، ويسمى أيضًا «المحبّر» لتحسينه شعره. عاصر النابغة الجعدي وزهير بن أبي سلمى، ومات بعد مقتل هرم بن سنان.

[122] – يوسف 28

[123] – النساء 76

[124] /https://www.islamweb.net/ar/fatwa/431932إسلام ويب

يُمكن أن يدخلنا في سؤال هل الفلسفة حقاً علم . أم أنه "نتيجةً لترسّخ النظرة الذكورية" التي لا ترى أن المرأة لا ستطيع التفكير ، أعتقد أن الدافع من وراء الفكر لا يكون سيئً ومقصوداً في حد ذاته دائماً ، لكنه نتاج تفكير مجتمعي سائدٍ يرى أن المرأة لا تفكر ، وفق كل ما سبق ، فإنه يتوجّب علينا أن نطرح نقاشاً جدياً حول القيم التي تتبناها المرأة غير الوظيفة والبيت والأولاد بدون الرجل لأنه آخر أولوياتها ، هل نعتبر تلك القيم تنويراً لعقلها ، وتحريراً لها من قيود المجتمع ، هذا هو طرح الجمعيات النسوية غير المعلن ، وهو ما ينتج عنه التساؤل التالي : "متى ستدخل المرأة المجال في عالم الفكر ؟"، دون استخفاف بنفسها ، والتعامل مع نفسها كإنسان قادر على التفكير ، والحقيقة، أن هذا السؤال منوط بتطورها الفكري والفلسفي ، بعيداً عن الشعارات الفضفاضة أو التقدمية المُرائية . يقول بن رشد : " والآن ، أصبح من البيّن أنّ النساء يجب أن يأخذن مكانتهنّ بين أهل المدينة مثلهنّ مثل الرجل ، وأنّهنّ يجب أن يقفن بمثل ما للرجال من درجة " .

5. الوهم

الوهم من طبيعة العقل والأحداث العقلية والوظائف الادراكية والخصائص الذهنية خلاف الوعي المعرفي وعلاقته بأعضاء الجسم المادي وخاصة العقل . توجد علاقة بين فلسفة العقل وعلم النفس التجريبي ، في الغالب ما نهتم بالأسئلة الأكثر عمومية حول طبيعة الأشياء : ما هي طبيعة الوهم ؟ ما معنى الحصول على معرفة حقيقية ؟ ما الذي يجعل الوهم تأكيداً صحيحاً ؟ ، مما يؤدي إلى وجود مجالات كاملة مكرسة لفلسفة الوهم ، وفلسفة العلم والأخلاق ، بينما تهتم فلسفة العقل على وجه التحديد بالأسئلة العامة حول طبيعة الظواهر العقلية مثل طبيعة الفكر والشعور والإدراك والوعي والتجربة الحسية ؟ أحد أسباب صعوبة الإجابة عن هذه الأسئلة هو أن هناك عدم وضوح كبير في الفهم العام حول مدى موضوعية الوهم كظاهرة عقلية ، التي يمكن أن تشكل الأحاسيس بشكل أساسي وذاتي ، وليست مفتوحة على موضوع العلم الجاد . أقصد هل سيكون من الممكن معرفة ما هي الأفكار والأوهام الخاصة لشخص آخر ؟ يبدو أن كل شخص في "وضع وهمي" خاص فيما يتعلق بأفكاره ومشاعره . بالنسبة لكثير من الناس ترتبط هذه الذاتية بقضايا تفسير وفهم الوجودية وتفهم الحياة البشرية ، الذي يعد ضرورياً ومتميزاً بشكل مهم عن أنواع التفسير والفهم التي تميز العلوم الطبيعية . وتظهر الظواهر العقلية في مجموعة كاملة من الفئات الأساسية التي تعرضها الظواهر في معظم المجالات الأخرى ، وغالباً ما يكون من المهم للغاية أن تضع في الاعتبار الفئة التي تتم مناقشتها فقط . يقع الوهم في عقل الإنسان في لا مكان وأن كان زمانه معروفاً . فهو غير ملموسٍ ، ويطلق الفلاسفة على أي شيء يحتمل أن يكون موجوداً في المكان والزمان "ملموساً ". فالوهم إذن ظاهرة عقلية مجردة ، مثله مثل الأفكار والمعتقدات المشتركة بين مواطني بكين الحاليين ومواطني أثينا القديمة . ولكن على وجه التحديد أين ظهرت هذه الأفكار الوهمية حتى يكون لها هذا التأثير؟ ، تعتبر الأوهام أكثر غرابة ، حيث يبدو أنها غالباً ما تكون غير موجودة في أماكن محددة جداً ، كما هو الحال عندما يشعر المرء بألم في الساعد الأيسر . ولكن كما يحدث في حالة متلازمة الطرف الشبحي ، يمكن أن يعاني المرء من مثل هذا الألم دون وجود ساعد فعلي . وتبدو الصور الوهمية متناقضة دائماً : فقد يؤمن الأشخاص الذين لديهم خيال وهمي بوجود أشياء رغم أن الحقيقة ظاهرة بين أيديهم ، ولكن لا أحد يفترض وجود صورة وهمية من هذا النوع في عقل أي شخص . ويبدو أن للوهم خصائص أيضاً من الواضح أن الخصائص الوهمية جزء من الخصائص العقلية ، مثل الشعور بالوعي والشعور بالألم ، يمكن مشاركتها مع العديد من الأشخاص ؛ والأكثر إثارةً للجدل ، العلاقات هي ما يتم التعبير عنه بما تبقى من الوهم ويتم حذف الحدث والكائن أو الأشياء . السؤال الصعب هو ما إذا كانت الخصائص والعلاقات الوهمية يمكن أن توجد حتى لو كانت غير مؤكدة تماماً . ومع ذلك لا ينبغي للمرء أن يفترض ببساطة دون حجة وجود خاصية أو علاقة غير مثبتة . أعتقد أن الوهم هو علاقة يمكن أن يتحملها شخص ما بفكرة . لكن أي نوع من الأشياء هو الفكر ؟ ، هذا موضوع جدلي هائل ولكن لا يمكن للمرء أن يبدأ في تفهم الوهم إلاّ من خلال ملاحظة أن الأفكار عادة ما يشار إليها أو يتم التعبير عنها بواسطة مكملات أو عبارات تبدأ بذلك . ولكن سيكون من المفيد أخذ "ذلك" يجب أن لا تكون الجمل قياسية . من الواضح أن الأوهام التي تعتبر مقترحات قابلة للمشاركة . يمكن أن يفكر شخصان في

نفس الوهم ويمكن لجمهور كامل أن يفكر في نفس الوهم على سبيل المثال ، أن الثلج ليس أبيض . لكن يجب تمييز الأفكار بهذا المعنى عن الأفكار الفردية التي يمتلكها الناس في أوقات معينة لأنها تتطور ولا يمكن مشاركتها في بعض الأحيان ، حتى لو تم التعبير عنها بنفس الجمل . بهذا المعنى ، قد يكون لدى الأفراد المختلفين أفكارهم الخاصة بأن الثلج أبيض . ويمكن للمرء أن يقول أن الأوهام المميزة تستخدم كلمات محددة وأن أنواع الكلمات مجردة ، في الواقع يمكن اعتبار أنواع الكلمات مجرد مجموعة من الرموز الوهمية للكلمات التي يتم تهجئتها بنفس الطريقة . إذن فإن الأوهام هي مكونات الأفكار أو الافتراضات بنفس الطريقة التي تكون بها الحقائق مكونات للمكملات الوجدانية التي يتم التعبير عن الأفكار أو الأوهام من خلالها . من الواضح أن الأوهام تخضع لتمييز رمز النوع ، والذي يمكّن المرء من فهم جمل غريبة مثل مفهومي عن ثورة فبراير 2011 م يختلف عن مفهوم مريم . لكن مفهوم رمز لجاري عبد الله يتضمن ارتباطات بمعتقدات ثورية وهمية مختلفة عن المعتقدات التي يرتبط بها مفهومي . اعتمادًا على وجهة نظر المرء بشأن القضية الشائكة حول ماهية الأفكار والأوهام ، قد يقوم المرء بمزيد من التمييز بين وسائل التمثيل التي يمكن استخدامها للتعبير عن الوهم . قد لا تتضمن محتويات الوهم مفاهيم كاملة على الإطلاق : مع ذلك حظيت مثل هذه الأوهام من "المحتوى غير المفاهيمي" مثلما قد يتم إنشاء أو عدم إنشاء الخصائص بواسطة أشياء حقيقية ، ولا تشير الأوهام إلى أشياء حقيقية بل تنتقيها . ومن المثير للجدل ما إذا كانت هناك إشارات في عالم الأوهام لمفاهيم عقلية مثل "الألم "و" حكة ". أحد الخلافات التي قد يكون من المفيد اتخاذ موقف متواضع للغاية بشأنها منذ البداية هو ما إذا كان كل مفهوم الوهم أو حقيقة يختار وهم أو حقيقة . للوهلة الأولى ، قد يبدو أن الإجابة على هذا السؤال هي "نعم" : الخاصية هي كل ما يفكر فيه المرء عندما يستخدم المفهوم المقابل . ومع ذلك ، يبدو من التسرع أن نفترض أن الحقيقة يجب أن تكون موجودة إذا كان لدى الناس مفهوم عنها . هذا الافتراض غير مقبول في حالة الوهم ، فلماذا يكون معقولاً في حالة الخصائص ؟ وفقاً لذلك ، تمشياً مع الحياد بشأن الخصائص غير المبررة ، لن نتفترض أن مفاهيم الخصائص تشير دائماً إلى أشياء حقيقية . إن المواقف الوهمية تكون الفئة الأكبر والأكثر تنوعاً من الحالات الحقيقية هي تلك التي يبدو أنها تنطوي على علاقات مختلفة بالأوهام ، هذه هي الحالات الحقيقية يتم وصفها بالأفعال التي تتخذ المكمل اللفظي كهدف مباشر لها . وهكذا ، في حين أن الأشياء المباشرة للأفعال مثل اللمس أو الدفع هي أشياء مادية بشكل قياسي ، فإن الأشياء المباشرة للأفعال مثل الإيمان والأمل والتوقع والعزيمة هي الافتراضات التي اختارها مثل هذا البند . إن الحالات العقلية " المواقف الوهمية " تبدو بطريقة أنها تنطوي على بعض المواقف التي تفرض على الفرد الفكر أو الاقتراح ، والذي غالباً ما يؤخذ ليكون معنى المكمل الحسي الذي يعبر عنه . وينشأ غموض آخر عندما نتحدث عن الوهم ؛ ولا يمكن للمرء أن يتحدث عن وهم الشخص أو عن الوهم الذي يكون لدى الشخص موقف تجاهه كما في اعتقادنا بشأن ثورة فبراير كان هو نفسه . "نفس الموقف" يمكن أن يعني نفس العلاقة مع أوهام مختلفة لديها نفس الإيمان في صلاحه كما تفعل في صدقه أو نفس الافتراض في علاقات مختلفة ، أما الأحاسيس والحالات الوهمية لا تظهر على الأقل في البداية على أنها مواقف افتراضية . إن الأحاسيس الوهمية التي يبدو أن الناس لا يختبرونها في معظم لحظات اليقظة . والحديث عنها أيضاً فضفاض بعض الشيء ، بطريقة لا يمكن أن تكون حاسمة ، في بعض الأحيان تشير إلى آلام صور ذهنية ما أُسميه " الظواهر التكهنية " كوهم الأفارقة والعرب الذين يعيشون في فرنسا أنهم فرنسيون ، ورئيس الوزراء البريطاني " ريشي سةناك " الذي يعتبر نفسه بريطانياً ، وهي تماماً الحالات التي يتم فيها أخذ تجربة لتعكس بعض التكهنات الحقيقية في حياتنا اليومية ، غالباً ما تكون أوصاف التجربة غامضة بين الوعي والوهم ، هذا الغموض هو الذي يؤدي إلى اللغز المألوف حول ما إذا كانت

الشجرة التي تسقط في غابة غير مأهولة تصدر بالفعل أي صوت . إنّ الوهم يعبر عنه بعدة طرق يجب التمييز بينها ، فأحياناً هو مجرد نشاط عقلي كما هو الحال عند هؤلاء الأفارقة ، وأحياناً تعني مجرد حلم كما في حالة ثوار 17 فبراير ، أتذكر عندما انتهى مفعول مخدر الثورة ، استعدتُ وعيي . الوهم الأكثر غفلةً من الناحية الفلسفية يتعلق بالأفكار التي يبدو أن الناس "على درايةٍ بها" ؛ لأن كل فرد منها في حالته الخاصة . ولأن كل فرد لديه معرفة مباشرة وفورية بأحاسيسه الوهمية ومواقفه الافتراضية أي ما يعيشه من وهم وما يؤمن به ويبني عليه آماله ويثير مخاوفه وما إلى ذلك فلا حاجة للسلاح لإحداث الخراب والدمار ، كل ما تحتاجه هو قوة الوهم . في لغتي الفلسفية الخاصة ، أقول أن ذلك الفرد لديه وِجْهَةً Distanation لا يمكن الوصول إليها (أو غير قابلة أن تكون) بالنسبة إلى حالاته العقلية . بالنسبة للكثير من الناس ، فإن وجود هذه الأوهام في حالتهم الخاصة هو أكثر وضوحاً ولا يمكن إنكاره أبداً . في الواقع إن الأفكار الوهمية المباشرة هي أساس كل ما تبقى من لاوعيه . إن الوهم هو أكبر صانع للدمار بقوة عظيمة ذات قطبين لخفض مستوى ثقافة الشعوب أو رفعها ، والسر الأكبر بالوهم هو صنع مناطق مجهولة من الوعي بحيث إن تحدثتَ في أي موضوع غريب عن الجموع تخرج الوحوش من باطنها لتهاجم المتحدث ، فلا تكن فريسة الوهم . وحسب شكسبير فإن : "حشد العقلاء أمر معقد للغاية . أما حشد القطيع فلا يحتاج سوى كلب وراع "[125].

إنه لمن الصعب بشكل متوقع قول الكثير عن الوهم الذي يثير الجدل بدرجة كبيرة . فقد دفعتني الجهود الأولية إلى الانخراط في تأملات كثيرة غير دقيقة لحالاتهم العقلية . فظهرت بعض النتائج غير المثيرة للاهتمام فيما يتعلق بعلاقة بعض الحالات الحسية بالتحفيز الخارجي ، فقد تلاشى الكثير من البحث والتدقيق في تقلبات وتعقيدات التجربة التي تختلف اختلافاً كبيراً بين الأفراد المختلفين . هنا يجدر بنا أن نتوقف قليلاً عن بعض الصعوبات وما يترتب على ذلك من عيوب في التفكير في العمليات الوهمية لأنني غير متخصص . في حين أنه قد يبدو من غير الطبيعي التفكير في أن بعض الظواهر العقلية يمكن الوصول إليها للوهم ، لأن الانتباه إلى الظواهر يشير إلى خلاف ذلك . إن لفت الانتباه إلى التنوع الثري والدقيق للحالات العقلية العادية ومدى ضآلة نموذج الشيء الذي يتم ملاحظته يشير إلى ذلك . فلنسأل هل من الوهم أن نقول أن المتعة ، والبهجة ، أحاسيس ؟ ما مقدار التشابه بين البهجة و"الإحساس" ؟ ، هذا يبدو وكأنه وهم . ومع الفرح نقول أثلجت صدري : أين البهجة في الصدر ؟ ، لكن لماذا الفرح محلياً ؟ ، هل لأنه موزع على الجسم كله ؟ . الحب ليس شعور الحب إطلاق للشهوات والنزوات ، والألم عكس ذلك . يقول المرء : " هذا ألمٌ حقيقي ؛ أو : لم يكن هذا ألماً حقيقياً " ، إن المرء منا لا يدرك أبداً بشكل مباشر الأوهام المجردة ، لأنها خارج تيار الوعي . في أحسن الأحوال فإننا ندرك الصفات الإدراكية أو السلوكية التي تربطنا بمثل هذه الأهام ، وكثيراً يصعب تحديد ماهية الوهم بالضبط . فقد لا تنطوي الأوهام على شيء مميز من الحالات العقلية الخاصة بالفرد ، ولكن يُفرض علينا نظريات حول الحالات الوهمية التي من المحتمل أن يمتلكها الشخص في موقفه . يجب أخذ هذه الفكرة بجدية عند تقييم العديد من الادعاءات الوهمية التقليدية حول عدم فهم عقول الناس المزعومة . على أي حال ، من المهم التأكيد على أن ليست كل الظواهر العقلية واعية وليست كل الظوهر الوهمية ليست واعية . في الواقع إننا نعترف بوجود حالات عقلية لا شعورية أقرب منها إلى الوعي منها إلى الوهم . تشمل الأمثلة الواضحة المعتقدات والرغبات التي لا يفكر فيها الفرد بوعي في وقت معين ، بالإضافة إلى الأشياء التي " تراجعت عن وعيه " ، على الرغم من أنها يجب أن تظل موجودة بطريقة وهمية ، حيث يمكن تذكيرهم بها . فهي نتيجة لأفكار ورغبات غير واعية مكبوتة

[125] https://www.hekams.com/?id=16154

بعمق . وتكشف طبيعة عملياتهم العقلية ، والتي تكون بالتالي فاقداً للوعي على الأقل وقت حدوثها بسبب الإحباط ، يجب أن لا نتجاهل الوهم و "السلوك الوهمي" ، بطرق يمكن فهمها على خلفية القضايا الأخرى . اعتقد أنه هناك أربعة أنواع من الوهم ، يقدم كل منها مشاكل عقلية مختلفة . يتعلق الوهم الاستخفافي والإعتقادي والتقليدي بزيادة احتمالية الحقيقة ، ويتعلق الوهم المرضي بمحاولة بناء أفعال الفرد جزئياً على الحقيقة وجزئياً على قيم خياله . إن الاستنتاج هو نوع الوهم الذي هو الشغل الشاغل للعقل التقليدي . إنه ينطوي على حجج صالحة " ليست صحيحة " أو حجج استنتاجية ، فإذا كانت المقدمات صحيحة ، فلا يجب أن تكون النتيجة صحيحة دائماً . في حين أنه في حجة استنتاجية صحيحة من المستحيل أن تكون المقدمات صحيحة والنتيجة خاطئة . هناك سمتين مهمتين للاستدلال الاستنتاجي : لا يجب أن يكون حول الأشياء الحقيقية ، ويمكن تطبيقه على أي موضوع مهما كان ؛ على الرغم من أن الوهم يمثل نوعاً من نموذج العقل ، حيث تكون حقيقته غير مضمونة تماماً من خلال حقيقة المقدمات ، فإن حياة الناس تعتمد على الوهم بأكثر من ذلك . فإذا كان للفرد وهم فإن للجموع وهم مشترك ، الذي أسميه الوهم الاجتماعي social illusion وهو مشاركة الوهم مع الجموع . ويمكن تعريفه أيضاً على أنه الوهم بوجود المشكلات المختلفة التي تواجهها المجتمعات والتجمعات بصفة يومية . أي أنه مجموعة المفاهيم الخاطئة والتصورات المصطنعة والآراء والمعتقدات غير الشائعة لدى الأفراد في بيئة اجتماعية معينة ، والتي تظهر في البداية بصورة واضحة لدى مجموعة منهم ثم يتبناها الآخرون لاقتناعهم بأنها تعبر عن مواقفهم . ونجد أن الوهم الاجتماعي ليس إدراكاً للواقع على الإطلاق وليس تصوراً له أبداً ، بل هو نتاج لحركة تبادلية غير ناضجة يندمج فيها الفردي في الاجتماعي ، والذاتي في الخيالي والإدراك في الوهم ، وتعد الأبعاد النفسية مجالات أولية له كالوعي ، وبالتالي فإن الأبعاد النفسية والفكرية والعلمية لا تعد مجالاً نوعياً من مجالات الوهم ، كي يتميز فيها عن غيره من المجالات بوظائفه والدرجة التي يعكس بها الواقع الاجتماعي . ويعتبر الوهم الاجتماعي محصلة تفاعل الأفراد في إطار بيئة اجتماعية معينة ، وانصهار أوهامهم وأحاسيسهم الذاتية أو الخيالية ، في صيغة حقائق معرفية وقناعات إيمانية وتصورات ومسلمات ، وميول ومشاعر واتجاهات وأنماط سلوك جماعية تعكس معطيات تلك البيئة الكائنة ، بما تشتمل عليه من متغيرات بشرية ، وبيئية واقتصادية وحضارية وتاريخية وثقافية ، إلى غير ذلك من المتغيرات ، وهو يكتسب ويتغير في إطار علاقته التأثيرية التبادلية بهذه البيئة . وكما هو واضح فإن للوهم الاجتماعي مستويين أحدهما ذاتي ويعكس النظرة الذاتية لواقع المجتمع ، سواء كانت نظرة شخص أو جماعة ، وهي نظرة قاصرة زائفة لا تعكس حقيقة الواقع الكائن ، كما لا تعكسه النظرة الأخرى وهي الخيالية التي تعيد تكوين وإنتاج محتويات الأوهام السابقة وترتيبها بأسلوب جديد يختلف عن النمط الذي كانت عليه في الماضي ، وأنه كما يوجد واقع اجتماعي كائن وآخر ممكن ، فإنه يوجد تبعاً لذلك نوع من الوهم الاجتماعي الكائن وآخر ممكن ؛ ويشير الوهم إلى عدم إدراك الإنسان لذاته ولما يحيط به إدراكاً مباشراً ، وهو أساس كل جهل وتخلف . فهو من زاوية أخرى : مجموع الأفكار والنظريات والآراء والمشاعر الاجتماعية والثقافية السائدة لدى الناس ، والتي تعكس المستوى الثاني وهو الواقع الخيالي . ويدل استعراض التاريخ الاجتماعي أنه مع تغير الوجود الاجتماعي للناس يتغير أيضاً وعيهم الاجتماعي . ولا يمكن فصل الوهم الخيالي عن الوهم الذاتي ، لأننا لا نستطيع التفكير في أنفسنا إلا بالإحالة إلى جماعتنا ، ولا إلى جماعتنا بدون الإشارة إلى أنفسنا . وذلك رغم أننا في وهم ولكننا في حالة فضفاضة من الإدراك الواعى لكوننا جزءاً من مجتمع مترابط مع الآخرين ؛ يعني ذلك أن الوهم يرقى بالفرد إلى مستوى واضح من الوعي لديه بكونه جزءً من كلٍ أكبر . وهو يشمل المستوى الذي يعى فيه الفرد كيف يتأثر بالآخرين ، وكذلك كيف يمكن أن تؤثر أفعاله في الآخرين . وفي إطار

هذه الشبكة من العلاقات تبرز أهمية الوعي بالذات الفردية والجماعية في إطار ما يواجه به الإنسان ذاته ومجتمعه من أسئلة تقوم مقام التفكير في الواقع وفي مسار الحركة المنتجة للحياة داخل الكيان المنظم . والذهن قوة للنفس تشمل الحواس الظاهرة والباطنة ، معدة لاكتساب العلوم . وهو الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر . وهو القدرة على التفكير والتَصَرُّف بشكل هادئ و كفء ، خصوصاً في حالةِ طوارئ . ويمكن أن يخرج معنى الذهن عن معنى العقل والكيانات التي تشكل نظامه العقلاني ووحداته الوظيفية ، فيصبح الذهن من أهم العناصر المنتجة لسؤال النسيج العقلي والإقامة داخل الكلمة المعبر عنها بالذهن ، وهناك فرق بين الذهن والعقل ، فداخل العقل يتشكل الذهن بكل مظاهره الخفية التي تضفي المعنى على كيان العقل ، لكن كيف يباشر الذهن عمله ويتشكل كبنية قابلة لأن تتسى ؟ فإذا كان العقل يتحدد بالوعي ، أي حينما نقول العقل فمعنى ذلك إعمال الفكر ثم الوعي بالشيء ، فإن حركة الذهن داخل العقل محددة بالاتجاه صوب الإنجاز الذي يشكل هذا العقل ، فالذهن هو قوة العقل وقدرته على التفكير ؛ فإذا وقف الفرد أمام موقف معين فإن سؤال الإنتاج الفكري ونوعه وغزارته يكون حاضراً بصورة أو بأخرى ، وإذا وقف أمام الفكر فإن سؤال الذهن بعنصري الإنجاز وتمامه لابد أن يكون جاهزاً لاختبار مدى توافق الذهن مع العقل ، أما إذا وقف الفكر أمام النص الإلهي فإن السؤال الروحي من الضروري أن يكونا جاهزاً لإحراج الذات أمام مخيالها ، فتنتفي فوضى التشكلات الذهنية للبنى ويتأسس المعنى في معنى الإيمان . لأنه سؤال فلسفي في حقيقته هو بساطة الدفع بالرؤية للأشياء وطرح ما يدور بالذهن من هواجس تعتقدها الذات ذات جدوى في بناء علاقة الله ، كي تؤدي تلك المفردات دورها في واقع الناس الوجودي بعبارة فلسفية ، بمعنى أن الفرد عليه أن يفكر بفرديته ضمن هموم وجوده ، فمن سيعبّر عن تطلعات الفرد الذي تختاره الإرادة الإلهية ، فيكون بذلك المنتج للأسئلة والمُواجِه لممكنات التجاوز في ممارسات العقل . أن نعيش في إطار العقل لا يعني سوى أن نفكر ثم نعمل ، لأن الضرورة العقلية تفرض على الفرد أن يكون في درجة من الوعي ، ويقوم السؤال الفلسفي على فهم الوظيفة الذهنية لا بوصفها مجموعة علاقات نظرية تالية للتموقع داخل العقل ، ولكن بوصفها كينونة خام تتم وفق تفاعلات تدخل في صميم الجسم القائم على طبيعة الحقيقة الوجودية للإنسان ، فلا يمكنه سوى العيش داخل منظومة تفكر وتتساءل مستفزةً البطالة الذهنية ، حيث تتطابق الأفكار المجتمعية مع الوضع الذهني المستقر الذي لا يناقض في جوهره حقيقة العقل الهادف إلى تفعيل الضرورة والفعالية العقلية النابعة من إرادة الفرد في بناء كيان نفسي وذاتي يتضمن الشرط الإنساني في تحولاته الغائية الهادفة إلى بناء أفق التطور والتحضر . ويمكن فقط فهم بساطة سؤال الفلسفة في إطار الوعي بتلك العلاقة بين الفؤاد والنفس وعلاقات الفرد بمحيطه ، أي أن سؤال الفلسفة يقوم ضمن منظومة التفكير لدى الفرد في إدارة بيئته القائمة على التلازم بين الفؤد والنفس باعتبارهما مسكن العواطف والوظائف الحيوية ، والمحيط باعتباره موقع عرض الضرورة الحياتية ، وبيروقراطية حضور الذات في شكلها المتعلق بالوجود . ويبقى تحقق الذات في شكلها الوجودي جامعاً للمعنى في كل العناصر السابقة متضمناً العرق واللغة والمصير والدين . ومن هنا ينبثق سؤالٌ آخرٌ باعتباره المحرك الأساس لدينامية العقل ، فأن تقف أمام موقف ولا تتساءل عن الحلول المعروضة خارج عقلك ، معناه إن مفهوم التفكير غير قائم في العقل ، وبالتالي ستخبو جذوة الذهن ، وسؤال العقل لا يمكن أن ينجز فعالياته في منظوراته ووظائفه الذهنية التي يجب أن تستجيب لترقية وحفظ صحة العقل باعتباره الركيزة الأولى في التنمية الذهنية . يشترط الوعي العقلي نظام الفكر حتى وإن لم يكن العقل في مستوى من الرقي يسمح له بالانتظام داخل فضاءات الفرد ، لأن فضاءات الفرد إنما تقوم ابتداءً في الذهن كفكرة ، ثم تتحقق في العقل ككيان ، فيصبح الوعي العقلي نظاماً تساهم في إنشائه البيئة المحيطة بالفرد لأنها

المحضن الأول لتفريخ العلاقات مع المفاهيم التي تتحول إلى تصورات ثم تتطور نحو الإنتاجيات المادية ، إذن الفكرة الذهنية هي أساس السؤال الناتج عن وعي العقل ، فالذهن لا يحركه العقل باعتباره الفاعل ، وإنما تحركه فعالية التشارك في إنتاج الفعل ، إذ "القلب والعقل" والذهن جميعهم يشكلون المقدرة العقلية في إنتاج أفكار الفرد على نسج وجوديته ضمن مهارة السؤال ، فالعواطف التي تقع خارج التصورات الذهنية تصبح عاجزة عن احتضان العقل المحدد ببرنامج إنتاج الوعي ضمن عناصر معينة من الأستجابات الجسمية وفقدان التركيز أو الشعور بالقلق وردود الأفعال الخارجية ، والقلب يتغذى على التصورات التي يتوافق فهمه فيها مع ما سبق مرحلة الانتظام الذهني من شذرات الوعي بالذات ذات الشرط العقلي المعرف ضمن خصوصية متجذرة في عناصر إنتاج الوعي ، والتميز بالنشاط العقلي الشديد وبدرجات معينة من المتعة أو المعاناة . إذن فالذهن هو قوة وقدرة العقل " التفاعل الذهني " على الإستجابة السريعة للأحداث تساعد العقل بناء القرارات السليمة " الوعي العقلي " . وقد عرَّف ابن الجوزي الذهن بأنه" :قوة النفس المهيأة المستعدة لاكتساب الآراء"[126]، ووافقه في رأيه الإمام الجرجاني الذي عرف الذهن بقوله : "قوة للنفس تشمل الحواسّ الظاهرة والباطنة معدة لاكتساب العلوم ، وهو الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر"[127] ، وهو القدرة على التفكير والتَصَرُّف بشكل هادئ و كفء ، خصوصاً في حالةِ طوارئ . ويفكر بعض الناس في طبيعة العقل : ما إذا كان بإمكان العقل أن ينجو من موت الجسم ، لأن العقل هو نتاج لأحد أعضاء العقل وهو الدماغ ، فإذا فنى الجسم يفنى الدماغ ويصبح فناء العقل تحصيل حاصل . يعني لا إمكانية أن تكون ، بالطبع فقد كانت مركزية للعديد من المذاهب الدينية ، ولعبت دوراً واضحاً في صياغات ديكارت ثنائية العقل والجسم ، التي حسب وجهة نظري يجب أن تكون ثنائية الجسم والروح وليست وجهة النظر القائلة بأن العقل والجسم يشكلان مادتين مختلفتين اختلافاً جوهرياً ، ولذلك كان من الصحيح الاعتقاد بأن الخلافات المعاصرة حول طبيعة العقل تعمل بالفعل على هذا الاحتمال البعيد . ومع ذلك ، هناك مشكلة مثيرة للاهتمام تتعلق بمسألة الأذهان غير العاقلة ، وهي مشكلة يمكن طرحها حتى لمن لا يؤمن بهذا الاحتمال : مشكلة الذات المجنونة . ما الذي يجعل شخصاً ما بنفس الذات بمرور الوقت ؟ هل هو ثبات الذهن ؟ لنفترض أن الأفكار أصبحت تقليدية وأنه من الممكن استبدالها واحدة تلو الأخرى بأفكار جديدة فإننا نتداول الأفكار كما نتداول الفلوس أو إطلاق النار . يمكن القول ، إذا كان الاستبدال واسع النطاق بدرجة كافية ، فسيكون المرء نفس الشخص بذهن جدي . ومن المفترض أنه شيء مثل هذا الاحتمال الذي يتخيله الناس عندما يتخيلون الجنون .

[126]– ابن الجوزي. الأذكياء. ص 6 .

[127]– الجرجاني. كتاب التعريفات. ص 143

6. الجنون

الجنون الوجه الثالث للعقل وهو عدم القدرة على السيطرة على العقل أو هو مجموعة من السلوكيات الشاذة التي تميز أنماط من السلوك الشاذ التي يقوم بها الاشخاص بدون وعى وادراك ورغماً عن ارادتهم والذي يؤدي إلى انتهاك المعايير الاجتماعية وقد يصبح هؤلاء الأشخاص يشكلون خطراً على أنفسهم أو الآخرين . قد يكون في لحظة معينة وقد تستمر عدم القدرة على السيطرة على العقل فترة طويلة . وعدم القدرة على السيطرة على العقل هو المفهوم الوحيد للجنون عند مناقشة الأمراض النفسية بشكل عام . وأمّا في الاصطلاح فقد عرّفه الفقهاء والأصوليّون بعبارات مختلفة منها : أنّه اختلال العقل بحيث يمنع جريان الأفعال والأقوال على نهجه إلاّ نادراً . وقيل : الجنون اختلال القوّة المميّزة بين الأشياء الحسنة والقبيحة المدركة للعواقب بأن لا تظهر آثارها ، وأن تتعطّل أفعالها . وعرّفه صاحب البحر الرّائق[128] بأنّه : "اختلال القوّة الّتي بها إدراك الكلّيّات[129]" . والجنون يُستخدمُ مفهوم اللاّوعي والوعي معاً في نفس الوقت لوصفِ بعض الظواهر العقليّة والمشاعر التي تنشأ لدى الفرد دونَ إدراكٍ منه ، ومفهوم الجنون من وجهة نظري هي صفةُ الشّخص المجرّد بشكلٍ تامّ عن الوعي واللاوعي ، ويمكن أن تصف حال الشخص بأنها ضبابية وعشوائية بالكامل ، إضافةً لهذا فهي صفة الإنسان المجنون لما يتطلّبه أو يعنيه ظرفٌ معيّن خاصّ . أنا أفترضُ عدم وجود أي نوع التصوّراتٍ موازية للظّواهر العقلية التي يعيها الإنسان ، وهي الظّواهر الفارغة ، والتي ليس بالإمكان إدراكها من خلال إعمال الفكر ، أو تلك التي تنبثق عن مبدأ يدرس جوهر الجنون يشمل ذلك أسئلة وجود العقل وصيرورة الجسم وكينونة النفس . وطبيعة الأشياء التي يدركها الجنون وسببها والغرض منها . غير أنّ الذي سيعطى هذا المفهوم بُعده الحقيقيّ هو الممارسة العلاجيّة ، الذي سيكتسح المنظور التقليديّ للسلوكيّات وللنّفس الإنسانيّة . منطلق تلك الظواهر الفارغة تتكوّن ممّا لا يمكن إدراكه في حالة الوعي ، كالتصوّرات والرغبات المكبوتة بسبب أنها مرفوضة وغير مقبولة من منظور الوعي الاجتماعيّ أو الأخلاقيّ ، الأمر الذي يجعل تلك الظواهر الفارغة تحتفظ بنوع غريب من الطّاقة ، وهنا يجب فهم الجنون من زاوية اللاوعي كظاهرةٍ ديناميكيّة بشكلٍ أساسيّ ، إلاّ أنّ الجنون يسعى بشكلٍ دائم إلى عدم تمرير التصوّرات التي لا يمكنُها الوصول إلى الوعي أو بدايته كي لا تتحوّل إلى أحلام ، وبهذا فإنّها تتّخذ شكلَ صفةٍ أو مظهرٍ غير مقبولٍ أخلاقيٍّ واجتماعيٍّ . ويعتبر الجنون كظاهرة عصيّة عن الوعي ، وهذا الأمرُ بالنسبة لي يعبّر عن الواقع العميق الذي يستحيل إدراكه بسبب عدم وجود التفاعلات النفسيّة أو عدم فهمنا لها إن وُجدتْ ، أمّا التفكير التقليديّ فيرى أنّه بوسعِ الفرد السيطرةُ بشكلٍ كامل على سلوكيّاته وأفكاره ، ومن هذا المنظور فإنّ الجنون لا يعتبر خرقاً للفكر التقليديّ الذي يمكننا تجاوزه ، لأنه في حال تجاوزنه سيتمّ معرفة ما يحدّد شخصيّة الفرد ومسار حياته ، وبالتّالي معرفة كلّ ما يمكن أن يرسخ في عقله ، والذي يتميّز بتجاوزه للزمان والمكان ؛ كونَه أحدَ آثار صدمة ربما تعرّض لها ، الأمر الذي يجعل منها حالةً مرضيّة في المستقبل . والجنون الجمعي هو مفهوم يركز على فكرة أن جزءً من أعماق الظواهر الفارغة موروث جمعي ، ولا ينتج

---

[128] زين الدين ابن نجيم فقيه أصولي من فقهاء المذهب الحنفي، كان الفقه الحنفي أعظم اهتماماته العلمية درسًا وإفتاءً وتأليفًا. ومن أشهر مؤلفاته : البحر الرائق شرح كنز الدقائق: شرح فيه كتاب كنز الدقائق للإمام حافظ الدين النسفي في الفقه الحنفي ووصل في شرحه إلى آخر كتاب الإجارة ثم توفي قبل أن يتمه فأتمه الشيخ عبد القادر بن عثمان القاهري الشهير بالطوري (ت: 1030 هـ) والذي كان مفتي الحنفية بمصر، وقد اعتنى العلماء بشرحه عناية كبيرة وهو من المراجع الهامة عند متأخري الحنفية.

[129] https://e3arabi.com/islam

عن التجربة الشخصية ، ووفقاً لذلك فإن الجنون الجمعي يعد شائع بين الجماهير ، وهو مسؤول عن بعض السلوكيات ، والظواهر العميقة ، وهو شبيه اللاوعي الجمعي لأنه يتشكل من كل من المعرفة ، والصور التي تكون لدى كل شخص ويشاركها مع باقي الجماهير من خلال تجربة السلف ، مع أن الجنون الجمعي لا يعرف الأفكار ، والصور التي في اللاوعي الجمعي ، إلا أنه في الأزمات تستغل النفسية الجنون الجمعي للتعبير عن اللاوعي الجمعي بواسطة مفاهيم بدئية فوضوية ؛ أو رموز أو أنماط تفكير ، وسلوك موروثة عن الأجداد ، لكنها ثابتة ، غير متداخلة ، أو يتحد في أي وقت ، ليَظهرَ فقط بالشكل الحرفي للجنون الفردي ، ولكن كذلك من خلال الشكل المجازي للجنون ، وأعتقد أن النموذج الأصلي للجنون قد يحتوي على جوانب إيجابية ، مثل الحب ، والدفء ، أو جوانب سلبية مثل العدوانية . أي أن الجنون أبعاد لنوع آخر من العقلانية التي لا غنى عنها على الأقل للذكاء الذي يظهره البشر وهو التفكير الذي لا يحتوي على أي استنتاج . لأن جميع أشكال العقلانية تحتوي على الانتقال من معتقد إلى آخر . لكن في بعض الأحيان ينتقل العقل من الإيمان إلى الجنون . الرغبة والاعتقاد هنا غير ذات صلة ، لأن العمل الجنوني هو العمل الذي يرضي رغبات المرء . إن الطرق التي يمكن للناس من خلالها أن يكونوا عقلانيين هي موضوع نظرية القرار الرسمية ، والتي تم تطويرها بتفصيل كبير في القرن العشرين في علم النفس والعلوم الاجتماعية الأخرى ، وخاصة الاقتصاد . ولا ينبغي أن يؤخذ أي مما سبق على أنه يشير إلى أن الناس دائماً مجانين . لأن بعض الناس "ضعاف الإرادة" ، ويفشلون في أداء ما يعتبرونه أفضل أو أكثر عمل عقلاني ، على الرغم من اختلافاتهم ، فإن الأشكال المختلفة للجنون تشترك في سمة واحدة أنها لا تنطوي على مواقف افتراضية كالاعتقاد والرغبة . وتثير هذه المواقف التي وُصفتْ بها عددًا من المشكلات التي كانت محط اهتمام العقل ولكن أيضاً في المنطق . ذلك لأن الإنسان مجبور على الاعتقاد في أشياء وأمور كثيرة خاصة الدين "بلا إرادة" ، فالإعتقاد أدنى مستويات التدين وتتدخل إرادة الإنسان في "الالتزام" بحيثيات المُعتقَد ومقوماته . وحسب عبد الحكيم كرومي[130] : " فإن قلة قلية من تحاول تأسيس تجاربها الدينية على مستند عقلي بحجج وبراهين ، وذلك أن الدين لمّا يستحيل إلى موروث ، يتناقل عبر الأجيال بطريقة تلقائية "[131] . يقول سورين كيركغارد[132] : " عندما يتحول الإيمان إلى مجموعة من المعتقدات ومقولات ومفاهيم وأفكار وشعارات يجب أن يعتنقها الكل ويحفظها الكل ويتطابق فيها الكل ، فحينها لن يرتوي القلب بـ " لذة وصال الحق " فالإيمان لا يتحقق بالنيابة ، لأنه تجربة ذاتية تنبعث في داخل الإنسان "[133] . والرغبة هي الشعور بالاحتياج إلى شخص أو شيء ، وعلماء النفس يفرقون بين الرغبة (desire) والمشاعر(emotion) ، فالرغبة تنبع من جسم الإنسان مثل احتياج الجسم للطعام بينما المشاعر تأتى من الحالة العقلية للأنسان . لكن تختلف الآراء حول الرغبة بين من يعرفها على أنها انعكاس لمطالب الهوى وبين من يعرفها على أنها وسيلة لإشباع الحاجات الفيزيولوجية للإنسان . ويعتبر العرب الجنون نوع من الفلسفة ففي المثل العربي القديم : " خذ الحكمة من أفواه المجانين " ؛ والجنون من زاوية أخرى هو اختطاف الوعي واللاوعي من الفؤاد ، فيبقى الفؤاد فارغاً تصديقاً للآية : " وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ

---

[130]- باحث مغربي، مهتم بقضايا الديمقراطية والفكر الإسلامي المعاصر

[131] https://www.aljazeera.net/blogs/2017/5/19/

[132]- كيركغور أو كيركغارد (5 مايو 1813- 11 نوفمبر 1855) هو فيلسوف دنماركي، ولاهوتي، وشاعر، وناقد اجتماعي، ومؤلف ديني، ويُعتبر على نطاق واسع أول فيلسوف وجودي.

[133]- بديع صنيج : الأخبار الإلكترونية عدد 22 شباط 23

مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ "[134] ؛ أعتقد والله أعلم أن أم سيدنا موسى أصبها هلعٌ من فقدانا رضيعها فخلا فؤدها من والوعي واللاوعي ، فحزنت ونسيت عهد الله إليها فأصبحت كالمجنونة . وإذا كان ذلك كذلك ، بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحي إليها . وأخرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغة الفؤاد ، ولم يخصص فراغ قلبها أو عقلها من شيء دون شيء ، فذلك على العموم إلا ما قامت حجته أن فؤادها لم يفرغ منه ، ولما جاءتْ أُمُهُ أَخَذَ منها ، يعني الرضاع كادت أن تقول : هو ابني فعصمها الله فذلك قول الله : " إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا "[135] . وهنا قال قلبها ولم يقل سبحانه فؤادها لأن القلب عاطفة وفكر والعقل فكر بدون عاطفة فبقي عقل أم موسى على ثباته ؛ كذلك نستطيع أن نقول إنّ الجنون هو غياب العقل وانحراف السلوك ، إذن الجنون هو تحرر من سلطة الفؤاد وجبروته ، وحسب الدكتور معراج أحمد معراج الندوي[136] : " الجنون بمعناه الواسع ليس في حدود المرض العقلي الذي ينتهي في غياهبه كل خلق وإبداع ، هناك سمات إيجابية كبري يناط بالأدب الرفيع والفكر الفذ استغلالها واستثمارها في إنتاج ضروب من المعارف والحقائق الباهرة "[137] . وكان الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو[138] هو من أكثر الفلاسفة الذين تعمقوا في هذه القضية ، حيث أخضعها لحفرياته في كتابه «تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي»[139] ، الذي هو عبارة عن رصد تاريخي للأفكار والممارسات والمؤسسات والفنون والآداب المتعلقة بالأزمات النفسية في التاريخ الغربي ؛ ولعل من أشهر المؤلفات التي تناولت لحظات جنون الأدباء كتاب «العبقرية والجنون في الرسم والموسيقى والأدب»[140] للكاتب فيليب برينو[141] ، الذي يطرح من خلاله العديد من التساؤلات المتعلقة بشخصيات مؤثرة في مجال الأدب حيث إن العبقرية لدى هذه الشخصيات الاستثنائية تجاورت مع الجنون ، نيتشة أحد أكثر الفلاسفة الذين تحدثوا عن الجنون ، فقد ورد في الجزء الأول من كتابه الموصوف بأنه شعري « هكذا تحدث زرادشت » قوله : « دائماً يوجد بعض الجنون في الحب ، لكن دائماً يوجد بعض المنطق في الجنون أيضاً » . والجنون من خداع العقل .

---

[134] – القصص 10

[135] – الآية السابقة

[136] – أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة عالية، كولكاتا– الهند

[137] https://www.al-jazirah.com/2021/20211203/qy4.htm

[138] – فيلسوف فرنسي1984 – 1926 ، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، تأثر بالبنيويين ودرس وحلل تاريخ الجنون في كتابه» تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي«، وعالج مواضيع مثل الإجرام والعقوبات والممارسات الاجتماعية في السجون .ابتكر مصطلح «أركيولوجية المعرفة». أرّخ للجنس أيضاً من «حب الغلمان عند اليونان» وصولاً إلى معالجاته الجدلية المعاصرة كما في» تاريخ الجنسانية.«

[139] – كتاب صدر عام 1961 للباحث ميشيل فوكو، كتبه عندما كان في السويد. وفيه يفحص الأفكار والممارسات والمؤسسات والفنون والآداب المتعلقة بالجنون في التاريخ الغربي.

[140] https://www.sudaress.com/hurriyat/1334 من أشهر المؤلفات التي تناولت لحظات جنون الأدباء

[141] – لم أعثر له على ترجمة

7 – جدلية الأخلاق والدين

إن الدين مجرد قوانين وشرائع أم نسينا أنها كذلك ، وهذا التأكيد يدفعنا مباشرةً إلى في قضية الوعي ، وخاصة في علاقته بالأخلاق . والذي يجعل من هذه الفكرة بحثاً ضرورياً ، هو أن الواقع اليوم يكشف عن وجود وعي من نوع ما يعكس حقيقة العلاقة بين الإنسان وربه ، أو بينه وبين نفسه أو مجتمعه ، وهذا الوعي من نوع ما هو ما نصطلح عليه بالأخلاق . كل ذلك يدفعنا إلى التساؤل عن دلالة مفهومي الأخلاق والدين وعن علاقتهما بالوعي ، كما يدفعنا إلى البحث والتساؤل عن مدى وعي الإنسان بربه وواقعه . كل تلك التساؤلات والإشكالات يمكن أن نعبر عنها كالآتي : ما الدين وما الأخلاق ؟ وما علاقتهما بالوعي ؟ وإلى أي حَدٍ يستطيع الوعي تقديم صورة شفافة وحقيقية عن الذات وعن المجتمع ؟ ألا يؤدي تدخل الدين إلى جعل تلك الصورة معكوسة ومزيفة ؟ وهل بإمكان الأفراد الاستغناء عن الأخلاق والدين ؟ الدين هو توجيه إلهي وفكر روحاني ، يهتم بتحليل حياة الإنسان ودراستها في علاقاتها مع الله والذات والمجتمع ، والدين في أصله لم يتطور تاريخياً لأن أصله التوحيد ، لكنه في تطوره التاريخي أصبح يعني أيضاً :" مجموع التمثلات الشرعية التي تعكس موضوعياً الشروط الواقعية لحياة الناس " . والأخلاق هي السلوك الجيد واللفظ الخيّر ، ومجموعة القيم المقبولة في المجتمع ، ذلك يكون في الإنسان ظاهره وباطنه ، وهي مطبوعة في الإنسان خلقةً وفِطرةً . وعكس ذلك الشر الذي هو الخداع الحسي ، والتمثل الكاذب الناتج عن الانخداع بالظواهر ، كما يطلق الشر على الأفكار التي لا مقابل لها في الأخلاق . إن أي علاقة بين كل من الواقع والدين والأخلاق ؟ هل يعمل الدين على تحرير الواقع كما هو ، أم أننا نعمل على تشويهه وتزيفه ؟ أم أن الدين ينتج وعياً زائفاً عن الواقع ، وأنه يتجاوز التزييف إلى التبرير والإدماج[142] . من الناحية المفاهيمية نحن أمام عدة مفاهيم لابد من الوقوف عند دلالتها وكشف مضمونها. ولعل أبز تلك المفاهيم ما يلي : الدين وهو ذلك الفكر الروحاني المقدس الذي بواسطته تعمل التمثلات الروحانية[143] على توجيه حياة الناس الواقعية ، وتصوير الثواب والعقاب الإلهي في الدنيا والأخرة ، والخضوع لله بالعبادة والقُرُبات ، ولا يؤدي الدين وظيفة تشويه الواقع أو الحياة الدنيا بل يعمل على إشباع حاجات الإنسان الروحية وتحقيق أشواقه الوجدانية ، ويؤدي أيضاً وظيفتي التبرير والإدماج ، ولذلك لابد من فهم معنى التشويه والتبرير والإدماج ، فالتشويه يعني دائماً انتاج صورة معكوسة عن الواقع فلا تعكس حقيقته . وهو استعمال الدين كمصدر للهوية ؛ أما التبرير فهو تفسير الظواهر الكونية والوجودية المحيطة بالإنسان ، وعد السماح لطبقة

---

[142] – التبرير : تبرير الطبقة المسيطرة لأفكارها أو لوقائع معينة لجعلها مقبولة لدى الأفراد. أما الإدماج: أي إدماج الأفراد ضمن بنية من الأفكار و والمعتقدات ذات البعد السياسي أو الديني أو غيرهما ، أما من الناحية الحجاجية فيمكن أن نعرض للبناء المنطقي للنص عبر تحديد الآليات الحجاجية التي اعتمدها بول ريكور ليجعل موقفه موقفا مقبولا، ولعل ابرز تلك الآليات تتمثل في: العرض والتفسير ، والإستشهاد ، والإستعارة ، والمثال . تحليل نص بول ريكور وظائف الإيديولوجيا (الإيديولوجيا والوهم) ، https://www.philoclub.net

[143] – تعني التمثلات في الفلسفة إدراك المعاني المجردة ، ويشير مفهوم التمثل الروحي إلى العملية التي يستوعب فيها الذهن المعطيات الخارجية بعد أن يحتك بها الفرد بالواقع ويضفي عليها مستويات شخصيته المختلفة . يؤدي ذلك إلى أن تتجمع لدى الفرد صور عن تلك المعطيات بشكل حصيلة هذا الاحتكاك، فتكون بالتالي تمثلا لها .التمثلات تتميز بنوع من الثبات النسبي ولا تتغير إلا بتغيير عناصر الواقع . وتغير إدراك الفرد لهذه العناصر. التمثلات بهذا تكون عبارة عن مواقف توجه السلوك وتحدد عددا من الاستجابات التي يتعين أن يصدرها الفرد كرد مباشر أو غير مباشر اتجاه مثير داخلي أو خارجي . إن هذا ما يعطيها طابع المعنى والدلالة https://www.facebook.com/AnsarSociologey/posts/719578842184402 . /

المعممين السيطرة بأفكارٍ أو وقائع معينة لجعلها مقبولة لدى الأفراد . والإدماج يعني : إدماج الأفراد ضمن بنية من الأفكار والمعتقدات ذات البعد أو الديني . والفطرة هي الخِلقة التي خلقنا الله عليها أي أنها هي الطبع السوي أوِ الجِبِلَّة المستقيمة التي وضعها الله بداخلنا في أول الخلقة فهي خيرٌ دائماً في إنسانية صرفةٌ ، وسلامة الفطرة تعني سلامة الفؤاد والسلوك فلا سلطان عليها ، والفطرة ليست الغريزة ؛ فالغريزة هي المعالجة غير الشعورية للمعلومات شديدة التعقيد في الفكر العقلاني ، وهي محكومة عند الإنسان بالفؤاد ، وهي مرتبطة بالحدس حيث يتم اكتسابها مع السلوك ، والغريزة حيوانية لا تعرف الخير من الشر ولكنها السلوك من أجل الحياة والتكاثر فلا سلطان عليها عند الحيوان . وهي متأصلة في النفس الحيوانية ، ولا يمكن ردعها لأنها عبارة عن ردود أفعال لما يصدر عن البيئة المحيطة ، والحدس هو مجموعة من المعتقدات الحيايتية المتراكمة نستعملها من تحقيق هدف معين في موقف معين . أمّا الدين هو مجموعة من الشرائع السماوية " قوانين " نؤمن بها فلا نخالفها . إن الدين هنا لا يؤسس على الأخلاق كما يرى كانط ، لأن الأخلاق من القيم الإنسانية وهي سواءٌ عند كل البشر المتدينون وغير المتدينين ، والقيم السوية هي جزء من الفطرة السليمة والعكس صحيحٌ ، وأن العقل الناضج يؤسس على الفطرة السليمة ، أي أن الدين كمجموعة قوانين يتبعها العقل الناضج لأنه آمَنَ بها وأمِنَ بها ؛ ومن ثم يكون الدين مؤسساً على الفطرة الإنسانية السليمة وليس كما يرى كانط لذلك فهو يرفض أن تكون ممارسة الشعائر والعبادات بديلاً عن الإلتزام الخلقي ؛ والدين امتداد للفطرة السليمة لأن الفطرة السليمة تدعوا إلى التوحيد الذي زُرع فيها خلقةً ، يقول الحق : " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ "[144] . ؛ إن الله خلقنا ولم يضع لنا شرائع تتعارض مع عقولنا هذه هي القاعدة ، فكيف يكون أشهدنا على أنفسنا ونحن لا نعلم بذلك ثم يسألنا عن ذلك يوم القيامة ؟ ؛ والمعنى من وجهة نظري : أشهدنا على أنفسنا ألستُ بربكم ؟ أي : فطرنا على ذلك وجبلنا عليه خلقةً . إذن فالخلاف جوهري بين الدين والأخلاق ، فيمكن للإنسان أن يكون على خلق وهو لاديني ، ونرى كثيراً من الناس متدينون وغير ملتزمين أخلاقياً . إنما الجوهر في الفطرة الإنسانية السليمة التي تجمع الدين والأخلاق على بساطٍ واحدٍ . كانت معلمتي في اللغة الفرنسية في باريس يهودية وكانت كالأخت الحنون تماماً ولم يكن الدين عائق لتواصلنا أبداً ، ولكنها كانت تعاملني بنبل أخلاقها وسمو سولوكها ؛ أقول : إن الدين جزءٌ من الفطرة الإنسانية كالأخلاق تماماً . إن اشكالية الدين والأخلاق من المواضيع التي تتعدد وجوه القول ، وبالأساس فإن الأخلاق مصطلحُ إشكالٍ لا تستقر على تعريف محدد ، كما أن الدين كمصطلح فقد إلتبس على الكثيرين ، ما هو شرع وما هو فكر ، فالفكر الديني ثقافة والشرع أصول الدين ، ولا يعترف المتدينون المتشددون بالأديان الأخرى على الإطلاق أو أي فكر ديني خارج فكرهم ، ولقد بدا لافتاً هذا التركيز غير المسبوق على الأخلاق في زمننا المعاصر ؛ وهو ما حدا بي إلى توصيف العملية بـ"عودة الأخلاق إلى مقدمة المشهد" ، وهي عودة في تزايد مستمرّ بالنظر إلى الأخلاق ومجالات تدخّلها مقارنة مع الدين والسلوك وفي أدوار أخرى ومجالات مغايرة ؛ وسقوط في ما اسميه "وحش الأخلاق"، أو في أن نجعل من الأخلاق "دينا بديلاً "؛ وهو نقيض قلق الأخلاق ، ذلك أنّه مهما كان من أهمية لها في علاقاتها المثمرة والمعقدة مع المجتمع وسلوك الأفراد اليومي ، فإنه لا ينبغي أن نردّ كل شيء للأخلاق بمفردها ؛ وإلّا سنسقط في "النزعة الأخلاقية (moralism) "التي تفضي إلى "الغطرسة الأخلاقية" ، حين تدّعي تفسير المجتمع والتاريخ بالأخلاق . بذلك سيتم إفراغ الأخلاق من مضامين الفن والأدب والاجتماع والسياسة ، بعد أن تمّ

[144]- الأعراف 172

وضعها في الواجهة ؛ غير أن ذلك لا ينزع عن الأخلاق "عرشها" بخاصة في ظل تنامي دعاوى العولمة التي تدعوا بدورها إلى الاستئصال والتطرّف ، وعلى نحو أكيد سيطول ألغام الهوية ومشكلات الذاكرة القومية وقضايا الأمم ... إلخ . ولأننا نتعاطى مع الأخلاق باعتبارها موروثاً قوامه أنساق من السلوك في أشكال من الإبداع اللفظي والإنتاج الإنساني جنباً إلى جنبٍ مع كونها ممارسات دالة وداعمة لأسلوب الحياة اليومي " Patterns " ، التي بموجبها تصير الأخلاق جوهر الأنساق الاجتماعية . كما أن الأخلاق ليست "مسألة يسار أو يمين" وليست سياسات وتدابير واستراتيجيات وأولويّات ، بل سياقات ثابتة فالأخلاق مبدأ حياة ، وقضية انسانية تصوغ العقليات وتطبع السلوكيات . وهنا هل يتدخّل الدين في طبعها العام باعتبارها "بناءَ أفكارٍ ومعتقداتٍ" ؟ ، مثلما في تأثيرها على سلوك المجموعات القومية ، سواء من أجل إعادة ترسيم هذا السلوك أو اجتثاثه من الأصل . عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : "إنّما بعثتُ لأتمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ"[145] "يقول سيسرون ، في كتابه (عن القوانين) : " الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله ". أما كانط فقال في كتابه (الدين في حدود العقل) : " الدين هو الشعور بواجباتنا ، من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية ". وقال الأب شاتل ، في كتاب (قانون الإنسانية) : " الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق : واجبات الإنسان نحو الله ، وواجباته نحو الجماعة ، وواجباته نحو نفسه"[146]. وشهدت فترات من تاريخ الأمة العربية حماس ديني منقطع النظير من القرن المنقضي ، أوج دعاوى "فك الاستعمار (Décolonisation) " وتصفية تركة الاستعمار وعداوة الفكر الاشتراكي و"حتمية" زوال إسرائيل... إلخ . كذلك مواصلة أحلام "الاستقلال التام" وأدوار النخبة المثقفة (الأنتليجنسيا)[147] في بناء الدولة الوطنية على نحو ما كان يحلم بها الشعب فترة الاستعمار ؛ وهو ما طبع المرحلة سالفة الذكر بمناخ ساخن امتدّ من المقال الفكري في الشأن الراهن إلى الخطاب الديني الصاخب إلى الرجوع إلى التراث والماضي في سياق استخلاص "نزعاته الدينية" وبحثاً في "تحوّلاته" من "العقيدة إلى العقيدة" ، ومن التراث نحو التجديد ، وذاك كلّه في المدار الكاشف عن فاعلية الدين التي عكست كمين الدين والشحن الديني والضخّ الديني والشراسة الدينية وحتى الحقد الديني . والدولة الوهمية حيث نرى أشكال من الثمالة الدينية والخيال الديني والإنتاج الوهمي الديني ... إلخ . ويمكن الاستدلال في مجال النقد الديني الذي كان مجلى للواقع الثقافي والديني للمرحلة ، الذي يعكس ما أسميه : بـ"الواقعية الدينية " ، إن هذه الواقعية خلطت خلطاً بين الخطاب الديني و"الإسلام السياسي" ، وجعلت الفقيه أشبه بقائد سياسي يوزّع صفات "الرجعية" و"التقدّمية" على من يشاء . والخطاب الديني نفسه سيواصل من خلال بـ"الشكل الناقص" الذي اتخذه الإسلام السياسي . الذي عاش معظم زمانه كـ "مجموعة أفكار"؛ أي إنها لم تكن تعكس أصولها بقدر ما كانت تدعو إلى إنتاج هذه الأصول ، والملاحظ أن هذا الموقف سيتواصل في الخطاب الديني ، لكن بالاستناد إلى منظور الدولة الوهمية أشد حدّية مقارنة مع ما سبق . ولعلّ في ما سلف لا يحول دون التركيز في حال المجتمع العربي على صنف من " ضعف الخطاب الديني " ، سواء في مجال النقد الأخلاقي في التباسه بالخطاب الديني أو في العمل الفكري والأداء الثقافي بصفة عامة . وعلى هذا المستوى يصعب الحديث عن "إرث ديني" . في السياق نفسه لكن في نطاق أوسع ، ثمة خطاب ديني كان يتطلع إلى إحداث تغيير جذري يطاول المجتمع ككل ، أو المجتمع في "كُلِّيَتِهِ " (Totalité) ؛ وذلك كلّه عبر صنف محدّد من الفكر

---

[145]– ابن رجب (ت ٧٩٥)، لطائف المعارف 305 " ذكره مالك في الموطأ بلاغا "

[146]– الدكتور عبد الله دراز في كتابه " الدين " . دار القلم : الكويت 1982. ص: 34

[147]– النخبة المثقفة (الأنتليجنسيا) هم فئة من الأشخاص المتعلمين المنخرطين في الأعمال الذهنية المعقدة التي لها دور نقدي وتوجيهي وقيادي في تشكيل ثقافة وسياسة مجتمعهم، تضم الأنتليجنسيا فنانين ومعلمين وأكاديميين وكتاب ورجال الحرف. يُعرف أفراد الأنتليجنسيا بالمثقفين.

الديني ضمن " المعالجة الفلسفية للحركة السلفية ". إن انهيار الكيان الديني التقليدي لن يستمر ولن يكتمل إلّا إذا تبلور فكر انقلابي ، وتغلب على الفلسفة الدينية التقليدية يتم ذلك باللجوء إلى الجبرية[148] التاريخية ؛ أي بالكشف عن وجود سنّة متواترة في التاريخ . ولم يكتب النجاح لأيّ رسالة سماوية إلّا إذا تبلورت معها ثورة أخلاقية انقلابية ، مأخوذة من فلسفة المجتمع . وأن الحال التي نعيش عليه الآن هو حالة غطرسة أخلاقية ، ستحلّ محل أخلاقنا التقليدية التي هي في طريق الاضمحلال . فلابدّ إذن من أن يتغيّر "الخطاب" ؛ إن هذا التغيّر هو ما لا سنطلع عليه : " إن عدم وضوح المفاهيم خطر كبير على استقامة الفكر[149]" ، وهذا ما جعلنا نخوض في التعريف المفهومي لمفاهيم الدين والأخلاق ، ولقد قيل الشيء الكثير عنهما ، وبخاصة في الجوانب المتعلّقة بـ"النقد الديني والأخلاقي كسلوك " . غير أن التعاطي مع الأخلاق والدين كسلوك من منظور الالتباس الثقافي باعتبارهما جزءٌ من الثقافة لم يكن يسلم من صعاب والمخاطر ، وهو ما شرّع السؤال عن أزمة الوعي الديني والأخلاقي وتعييناً "الأخلاق المهزومة"، أعتقد أن الإشكالية في الواقع لا في الدين ؛ خاصة وأن سلطان الأفكار السلفية في توسع وتنامي ملحوظين يصبان في مصلحة الدولة الوهمية . إضافة إلى قصور الوعي الأفراد ، ومحدوديته على المجتمع بسبب اغترابه الأيديولوجي ، وسيتمّ ردّ الأمور إلى نفوذ الأفكار التقليدية . وكما في شبه ثابت فالهزائم النفسية تقوّي اللاوعي بدلاً من إسقاطنا ، ومن هذه الناحية ، فقد تصلّبت هذه الأفكار ، وطغت و" أكلت الأخضر واليابس " مقارنة مع فترات تاريخية سابقة . فقد ارتكزت على حزمة "شعارات فقهية " مركوزة في "التاريخ القذر للإسلام السياسي" . منظمات تعالت على المجتمعات بعد أن محت مفهوم الدولة حيث القانون والدستور والمواطنة و"الديمقراطية" رغم أني غير مقتنع بالمفهوم الغربي للديموقراطية . لذلك تقهقر الوضع إلى مرحلة ما قبل الإستقلال ، ومن ثمّ تصفية مشروع أو جنين الدولة - الأمة ؛ ممّا يدعو إلى الدعم الديني فيها ، وهو أيضا ما يفرض التمييز بين الدولة والدين وليس الفصل بينهما . والغاية من التمييز هي التأكيد على أن الدولة في ارتكازها على العنف الديني والقمع الأخلاقي هي مدار الاصطدام ، وأن هذا السلوك هو الذي يفضي إلى الدولة الوهمية كمشهد من أنظمة "الاستبداد العربي" القائمة على محو الأخلاق . وهكذا نكون قد أفرغنا الأخلاق من مضامين الفن والأدب والاجتماع والسياسة بعد أن تمّ حصرها في مجرد "واجهة". ولأن "المجتمع كواقع حركي وفكرة مجردة ، يحتاج إلى أفراد ذوي أفكار ومناهج مختلفة وليس إلى أديان مختلفة " كما تقتضي الإرادة الإلهية " يقول الحق : " إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ "[150] فقد تمّ شطب هذا الفرد بواسطة أنظمة الاستبداد الديني . ولم ينظر إلى الأخلاق ، باعتبارها "إسمنت التلاحم الاجتماعي" (بتعبير غرامشي[151] الرائج) حتى لا يتمّ الطمع في اعتبارها مصدر تغيير وتبدّل في أنساق التفكير والإدراك . وستكون الحصيلة الثقيلة بعد محو الفرد

---

[148] – مصطلح الجبرية مشتق من الكلمة العربية جبر، والتي تعني الإجبار والإكراه ،كما أن لفظ الجبرية هو مصطلح تحقيري يستخدم من قبل الجماعات المختلفة التي تعتبرها خاطئة، لذا فهي ليست مدرسة محددة .

[149] – عبد الله العروي : مفهوم الأيديولوجي

[150] – آل عمران (19)

[151] – أنطونيو غرامشي فيلسوف ومناضل ماركسي إيطالي، ولد في بلدة آليس بجزيرة ساردينيا الإيطالية عام 1891، وهو الأخ الرابع لسبعة أخوات. تلقى دروسه في كلية الآداب بتورينو حيث عمل ناقدا مسرحيا عام 1916. انضم إلى الحزب الشيوعي الإيطالي منذ تأسيسه وأصبح عضوا في أمانة الفرع الإيطالي من الأممية الاشتراكية.

وتجريف "الأخلاق" حيث كانت الأخلاق ضرورة إذا جاز أن نتحدّث بقاموس الفيلسوفة حنة أرندت[152] ، إشاعة "ثقافة الخوف". والخوف كالعنف يوجع الإنسان ويشوّه جسده والأفظع - يتسبّب له في "اختلالات(Troubles) "على نحو ما نقرأ في مقرّرات علم نفس المسحوقين أو "معذبو الأرض"، حتى نحيل على المناضل والطبيب النفساني الأنتيلي فرانز فانون[153] (F. Fanon) الذي زاول هذا الطب بالجزائر خلال فترة الاستعمار، وصاحب الكتاب الأشهر الذي يحمل العنوان نفسه(1961) (Les Damnés de La terre) ؛ وفي إطار من تلازم الأخلاق والدين يتحدد من خلال الخطاب والإيحاء بالتمويه ، وليس من خلال فكرة توافق المجتمع أو تضاربه ، تكون الفطرة هنا "هي المنتج الوحيد للدين ، ومن ثمّ اختراقها للمجتمع بدافع تثبيت الوضع من منظور غلبة الأخلاق (Moralism) " ، والرسالة، هنا في ظلّ هذه الغطرسة الفطرية وهي أن " لا يخطئ أحد " ، في تقدير "اللادينيين". فلا مكان لـ"للفقيه" ، ولا مكان للنخبة . المكان هو للموظف باسم الدين الذي يقوم بدور "الترجمان" ودور "المبلّغ بالنتائج" ، وهو الموظف الذي يتصرّف كلما اقتضت الضرورة كعضو في المجلس الشؤون الدينية ، في نطاق التنوّيع على الإستبداد والتأزّم . ولا ينبغي إنصاف الأخلاق من خلال تقدير " المحيط المباشر" الذي لا يستوعب المثقفين والمفكّرين والأكاديميين والكتّاب ، وفي أخلاق من هذا النوع ، ومن منظور التوظيف الديني ، يسهل الدفاع عن شرعنة الإسلام السياسي والإسهام في "صناعة " الطاغية المعمّمة ". ويتمّ تجاوز الولاء إلى اعتبار ولي الأمر "هبة ربانية" . وفي هذا الصنف من الأخلاق في السياق الديني الضاغط حيث الفساد والانحطاط ، ننتظر أن ينفجّر الوضع مرة أخرى في إثر ما اصطلح عليه بـ"الربيع العربي" . ولا ينبغي الانغلاق في تصوّرنا السلبي الذي بموجبه تغدو الساحة عديمة الفكر والمفكرين وقبل ذلك ، ينبغي إنصاف الأخلاق من خلال تقدير "المحيط المباشر" الذي يستوعب كل الأفراد والمفكّرين والأكاديميين والكتّاب . ودونما حصر لهؤلاء في مجرد موظفين دينيين وخدام بيوت الله . ومن جهة نظري لا نستقرّ على أننا نعيش في "عصر التيارات الدينية " أو "نهاية الدين" ، وليس تمامه كباقي "خطاب النهايات" أو "النهايات السعيدة" التي نراها في الأفلام . النتيجة هي هذا التحوّل من " دين الأربع مذاهب " نحو "دين الدولة الوهمية" التي أخذت في التفجّر الأيديولوجي في السياق الغربي الأمريكي على الخصوص ، الدين مجرد قوانين وشرائع أم نسينا أنها كذلك ، وهذا التأكيد يدفعنا إلى في قضية الوعي وخاصة في علاقته بالأخلاق . والذي يجعل من هذه الفكرة بحثاً ضروريا ، هو أن الواقع اليوم يكشف عن وجود وعي من نوع ما يعكس حقيقة العلاقة بين الإنسان وربه ، أو بينه وبين نفسه أو مجتمعه ، وهذا الوعي من نوع ما هو ما نصطلح عليه بالأخلاق . كل ذلك يدفعنا إلى التساؤل عن دلالة مفهومي الأخلاق والدين وعن علاقتهما بالوعي ، كما يدفعنا إلى البحث والتساؤل عن مدى وعي الإنسان بربه وواقعه . كل تلك التساؤلات والإشكالات يمكن أن نعبر عنها كالآتي : ما الدين وما الأخلاق ؟ وما علاقتهما بالوعي ؟ وإلى أي حَدٍ يستطيع الوعي تقديم صورة شفافة وحقيقية عن الذات وعن المجتمع ؟ ألا يؤدي تدخل الدين إلى جعل تلك الصورة معكوسة ومزيفة ؟ وهل بإمكان الأفراد الاستغناء عن الأخلاق والدين ؟ الدين هو توجيه إلهي وفكر روحاني ، يهتم بتحليل حياة الإنسان ودراستها في علاقاتها مع الله والذات والمجتمع ، والدين في أصله لم يتطور تاريخياً لأن أصله التوحيد ، لكنه في تطوره التاريخي أصبح يعني أيضاً

---

[152]– حنة آرنت بالإنجليزية(Hannah Arendt : ، 14أكتوبر 4 – 1906 ديسمبر 1975 كانت منظرة سياسية وباحثة يهودية من أصل ألماني .على الرغم من أنه كثيرا ما وُصفت بالفيلسوفة، فإنها كانت دائما ترفض هذا الوصف على أساس أن الفلسفة تتعاطى مع «الإنسان في صيغة المفرد».[16] وبدلا عن ذلك وصفت نفسها بالمنظرة السياسية لأن عملها يركز على كون «البشر، لا الإنسان الفرد، يعيشون على الأرض ويسكنون العالم».

[153]– فرانز عمر فانون بالفرنسية Frantz Fanon : 20) يوليو 6 – 1925 ديسمبر (1961 ويُعرف باسم إبراهيم عمر فانون، هو طبيب نفسانيّ وفيلسوف اجتماعي من مواليد فور دو فرانس – جزر المارتنيك، عرف بنضاله من أجل الحرية وضد التمييز والعنصرية.

:"مجموع التمثلات الشرعية التي تعكس موضوعياً الشروط الواقعية لحياة الناس ، وعدم السماح لطبقة المعممين السيطرة بأفكارٍ أو وقائع معينة لجعلها مقبولة لدى الأفراد" ، إن ثنائية الأخلاق والدين غالباً ما نفهم وكأن التقابل بينهما يدل على ضربٍ من التوحد . والحقيقة من وجهة نظري أن التقابل يفترض الجمع ليغدو ما يُظن أنه أمرٌ واحدٌ ثنائيةً . هذا يعني بالطبع أن الأخلاق بذاتها لا تعادل الدين ، أو أنه هو الأخلاق . ولجلاء اللبس سوف نسعى لنعثر على « مسارب تفكير » نتبيَّن منها مدارج المعنى عند الالتقاء وبعده بين الأخلاق والدين . سوف نجد أنه منذ اللحظة الأولى للالتقاء تظهر الثنائية ، فيبقى الدين نصوص متعالية على الزمان والمكان ، تظل الأخلاق مجرد سلوكيات وظواهر ، أو ألفاظٍ لا طائل منها . وإذن فنحن أمام مشهد لا يظهر الدين فيه على صورة ظاهرة اتخذت لنفسها لوناً أخلاقياً بعدما تحيَّزت في ظروف الزمان والمكان . وفي هذه الحال لا يستوي الكلام على الدين والأخلاق تحت عناوين إدماجية من قبيل : " الدين معاملة " أو " أخلاق المسلمين " أو عن طريق السؤال المفتوح على أمدائه الشاسعة : كيف تتحول الأخلاق إلى دين ؟ . لنقل أننا الآن أمام لحظة الالتقاء بين الدين بوصفه نظام علاقة . والأخلاق بوصفها فهماً وإعادة فهم للدين . لكن الأخلاق بما هي كذلك لا تنفصل البتة عن الدين وهي تقيم معه أينما حلّ . ذلك أنها ستأخذ منه ولا يأخذ منها ضمن حقل فسيح من التفاعل . وهو ما يتجلى بوضوح من خلال الممارسة التي يخوضها الفاعل الأخلاقي للفرد المتديّن الذي يبتغي لدينه حقّانية الحضور بوصفه الصراط المستقيم . ومنه يُنظر إليه على نصاب الاعتدال والوسطية ، وفهم الدين على مبدأ الصُرط المستقيمة « العقيدة والشريعة » للتجلي الإلهي ، فينشئ الخطاب الديني الذي نبتغيه على الاجتماع الرحماني بين الناس أنّى اختلفت مذاهبهم وأديانهم . وأياً فإن الحال الذي يتخذه الفاعل ، سواء كان فرداً أو جماعة ، فإنما يختبر فهمه وطريقته من منظومته الأخلاقية . ما سر هذه الأخلاق التي أطلقت الفرد الذي نراه يمارس لعبته الملحمية في فضاء المقدس كما في الزمان الوضعي ؟ ، لقد ذهبنا بعيداً في التعريف فذلك ما لا يحتمله السمع حيث يسعه المقام فيذهب بالقارئ في مفارق كثيرةٍ . لكن الاقتراب من الأخلاق عن طريق التوصيف من حيث سلوكٌ هي أم فكر ، يبدو أكثر جدوى لاسيما ونحن هنا في مجال معاينة صلتها بالدين أو حلولها في التجربة الدينية . لو قُدِّر لنا أن نرى الأخلاق كينونة فلسفية لوجدنا إنها أفكار بممارسة السلوك . أو العلم بجدلية ارتباط الأفكار المحدثة للسلوكيات بالسلوكيات المحدثة للأفكار . أما مجال عملها فهو خط العلاقة الذي يصل السلوك بالموقف والموقف بالسلوك الذي يعيد صنعها مرة أخرى . أما خط العلاقة فيشتد ويرتخي ، ينقبض وينبسط داخل حركة جوهرية في اللاوعي تتفاعل فيها إرادة الفرد المنتجة للفكرة بإرادة الموقف الذي تقصده الفكرة لتغيّره . فيتحصَّل من ذلك خروج الظاهرة الأخلاقية إلى ميدان الحركة والصراع . مع ذلك يصعب فهم معنى الأخلاق بمنأى عن طرق الاستعمال المتبادلة . كان فتغنشتاين[154] يردد شعاره الأثير: " لا تسأل عن المعنى اسأل عن الاستعمال " . وهو في ذلك يسعى إلى انتزاع المعنى عن طريق الاستعمال . فإن معنى الأخلاق بهذه الدالَّة يمكث في إجراءاتها الحادثة في حقول الاختبار بين الأفراد والجماعات ، من خلال الاختبار تستظهر السلوكيات كأنها كلمات بمعناها ومبناها ، فتغدو في مجال التحقق كينونة ضاجَّة بالحركة والألفاظ . ففي اللحظة التي تتحول فيها الكلمات الأخلاقية إلى ظاهرة ترتدي رداءها الجديد وتلملم حروفها المنصرمة ليقوم بعدئذٍ أولئك الذين تلقوها سمعاً وطاعة بخلع حروفاً قديمة وكلمات قديمة . لأن السلوك ما إن يتأسس حتى يفقد نضارته وحيويته اللازمة للطور الجديد الذي حلَّ فيه . لا تهتم الأخلاق

[154]– كان لودفيغ فتغنشتاين، فيلسوفًا نمساويًا بريطانيًا عمل أساسًا في المنطق وفلسفة الرياضيات وفلسفة العقل وفلسفة اللغة. يعتبر واحدًا من أعظم الفلاسفة في العصر الحديث. منذ عام 1929 حتى 1947، درّس فيتغنشتاين في جامعة كامبريدج .ويكيبيديا

بالتوصيف لأنها إن فعلت ووصفت فستنعكس في المشهد فسترى نفسها وضدها في آن . لذا فهي يجب أن تجتنب الرؤية الدائرية للزمان والمكان الذي تعمل فيه لئلا يلتبس على الأفراد الأمر ويقعون في الاضطراب . فيلتبس علينا الخطاب ولا تعود الأخلاق بقادرة على ضبط توترها الداخلي ، أو صون نفسها من استباحة الخارج . هكذا تأخذ الأخلاق معناها من نسبتها إلى قضاياها وحقول تجاربها المجتمعية . أي أنها تتعدد بتعدد حراك الناس. وعلى مبدأ الثابت والمتحول يكون الدين هو الثابت والأخلاق هي المتحول ، وحين يلتيقيان يغدوا مولوداً جديداً سارياً في اللحظات الحرجة والمفتوحة وفي الأمكنة الفسيحة أو الحادة . وفي كل حال فإن الفرد هو الذي يخلع على الدين بعده الأخلاقي بينما يمارس تدينّه . إن الفاعل الأخلاقي سواء كان فرداً أو جماعة يتحدد بإكساب كل ما هو شرعي تؤكد له هويته وتمنحه الأدوات المادية والمعنوية للدفاع عن تلك الهوية . أما دينه فسيعرب عنه بخطاب يتشكل وفقاً لشروط الجغرافيا الدينية وأزمنتها وتبعاً لتطورات وأشكال الصدام أو الحوار مع الأخرين المختلفين . يجري ذلك سواء كان ذلك في حدود الدين الضيقة ، أو ما يتعداهما إلى الحقل الخارجي الواسع . على هذه الصيرورة من العلاقة المتجددة يتحد الدين بالأخلاق بواسطة الفاعل الأخلاقي . وبعد ذلك الإتحاد سوف نغدو في طور آخر وطرف أخر ، ذلك هو الفطرة . في هذا الطور يعود الدين بما هو دين حاضراً إلا في النص المقدس الذي يعلن عن نفسه بكلمات الوحي ، وكذلك عبر المنقول على ألسنة الرسل والأنبياء . غير أن النص ليس صامتاً بل مدوياً في اللحظة التي يحل فيها على الوجود البشري ، حيث يروح المؤمنون يتسائلون ويبحثون . ويبقى النص المقدس واحداً في ذاته ، لكنه يتكاثر ويتعدد ويتنَّوع بحسب كل مذهب فمن يتخذه سبيلاً له إلى النجاة ، ومن يتخذه سبيل التعرّف والاستقراء . أما تفسير النصوص المقدسة فهو استنطاقنا للنص الإلهي وكلنا يفهمه من حيث يريد إلاّ من شاء الله ، بعد التفسير يبداء السفر الأخلاقي وينتقل الدين من كونه ساكناً إلى ظهور متحرك سيَّال بالوجود البشري . أي أنه أصبح بالتفسير وطرق الفهم المتعدد علوم دينية . هذه العلوم الدينية في طرف أخر معادلة أو مساوية للأخلاق عند الفرد نفسه وآليات الفهم والتدين نفسها . وبهذا تكون الأخلاق بالنسبة إلى النص الديني التأسيسي معرفة دينية من الدرجة الأولى . لأنها تفسر وتأول وتعيد إنتاج مفهومية النص المقدس المؤسس . ولأنها كذلك فإنها تعتبر نفسها حارسة القول الإلهي الذي سيصبح مع الزمن قولها هي بالذات بعدما ادَّعت الإحاطة به عبر تفسيرها له تفسيراً قطعياً لا رجعة عنه . وهكذا قالوا أن الدين هو الأخلاق وهو ليس كذلك . وفي هذا المعنى تصبح الأخلاق ديناً من الدرجة الثانية . فبحسب كثيرين من منظري أخلقة الدين فإنهم أطاحوا الفروق بين الديني والقيم الإجتماعية . فمثلما للدين رؤية كونية كذلك هي القيم لها فلسفة تاريخ ، وانثروبولوجي وعلم اجتماع . أي أن الأخلاق هي الخارطة الفكرية للدين . وتكتسب الأخلاق المصنعة للدين ، أو الأخلاق المتدينة نفس صفات أي تحيّز أخلاقي ، مثلما تكتسب المنظومات الفكرية والفلسفية التحقق السياسي التاريخي كالمنظومة الماركسية والليبرالية والقومية وسواها . لذلك سنرى أن الأخلاق تقابل الكثير من المعارف والعلوم يتداولها الفكر الإسلامي مثلاً كمفهوم الدعوة ، وعلم الكلام ، وفي الفكر المسيحي كالتبشير ، والمنظومة اللاهوتية . أعتقد أنه أدى غياب الحدود الفاصلة بين الدين والفكر الديني . أي بين المقدس ومناهج المقدس إلى جعل الأخلاق دعاء يحتوي الدين ويؤوله وفقاً لشروطه المعرفية ، وبحسب درجة فهم فقهائه وظروف حياتهم . إن الاحتواء[155] والتأويل[156] أديا إلى جعل الدين في مساره التاريخي ، أو الدين في ظهوره الدنيوي واقعة أخلاقية بامتياز

[155] – الاحتواء :هي الطريقة التي يستوعب فيها الشخص الطرف الآخر ويشمله ويهتم به في مختلف جوانب حياته. فالاحتواء كالوعاء الكبير الذي يستوعب أي شيء يوضع داخله. والاحتواء لا يعني فقط أن أحتضن الشخص كتلامس جسدي فالاحتواء يشمل جميع جوانب الحياة المادية والمعنوية والنفسية والاجتماعية والمهنية حتى الجسدية .مروة ابراهيم علي القيسيhttps://ujeeb.com

هكذا يظهر الدين في حالته الأخلاقية . بذلك يصبح أفضل تعريف للأخلاق أنها استمرار لدين ، وأفضل تعريف للدين أنه استمرار للفطرة . إن الأخلاق مسعى لتغيير العالم لا لتفسيره . والأخلاق مثلها مثل الأيديولوجيا تعزز المبادئ وتسدّد الإيمان ، إلاّ أن الأيديولوجيا أوسع وأشمل لأنها تنمح المنتمي إليها قوة الإرادة والاقتدار والتضحية ، وهذه إشكالية أخرى حين نربط الأيديولوجيا بالدين ، وسنرى حينئذٍ وكأن أيديولوجيا قد حلت محل الدين . إلاّ أن الفقيه لن يسمح للأيديولوجي بأن يكون اللاعب الوحيد الذي يتولى أمر الله يأمر وينهى ، ويرسم التوجهات والشعارات . وحين يتقدم الدين ليتولى شأن الناس تتحول الأخلاق إلى المرآة يرى الناس فيها أنفسهم وهويتهم . أما الفاعل الديني فإنه يستخدم الخطاب الغيبي والروحي للدين لامداد سيادته بعوامل القوة والسداد . وبالضرورة أن يكون هذا الفاعل متديناً وإلاّ فلن ينجح ولن يتأسس الفكر الديني على هذا النحو في سيرورته واجتماعه التاريخي ، ومن وجهة نظري فلا توجد براءة في الكذب ، ولن يكون الكذب علامة على حسن الإيمان بشيء ما ، ذلك لأن نيتشيه كما أسلفت يفتقر إلى الإيمان . ذلك لأننا إذا صدقنا أن الكذب علامة على حسن الإيمان فسوف يتوارى الدين خلف حجاب الغفلة ويطمئن أصحابه لما يؤمنون به . لكنه دعى في موقف آخر إلى السمو فوق البراءة الكاذبة ، والتبرّؤ مما يحجب الحقيقة ، لقوله بوجوب نقل كل المشكلات إلى الشعور وصولاً إلى الشغف كشرط لا مناص منه لكشف الحقيقة من دون مواربة أو خداع . وعندما نضع الأخلاق في مرآة الدين فإنّ الطرف الأقوى هو الذي سيضبط إيقاع التفوق في العلاقات بين قوالب الدين الجاهزة وقوالب الأخلاق والثقافة بصفة عامة الجاهزة ، ويصبح الفصل بين الإلهي والبشري هو موضوع النقاش المقدس أو المدنس بالمفاهيم والأفكار الدخيلة . وإذ تميل الأخلاق السلوكية واللفظية إلى الاحتجاب بوهم الحقيقة ينزع التدين إلى نسف المفهوم الإنساني للدين وذلك أخطر ما يواجه العقل ، لأن من أعظم شواهد اغتيال العقل أن يصير له "التباسٌ معرفي" . وإذا نظرنا إلى الدين بغير عصبية فإننا سنعرف الدين من منظور فلسفي بوصفه جملة من الأفكار الإلهية التي أخذت طابع المعتقد الإيماني والتصديق الغيبي حول قضايا روحية كالخلق والبداية والنهاية والعقاب والثواب والطقوس يقوم بها المؤمن للتقرب إلى الله ، فإن الدين هو جزء لا يتجزأ من الهوية الروحية للفرد وجزء من ثقافة الأمة ، والدين حسب كانط هو معرفة الواجبات كلها باعتبارها أوامر إلهية ، أما هيجل يتحدث تعريفه على أنه بحث المتناهي عن اللامتناهي بحث الإنسان عن المطلق ، ولقد أودعت الإنسانية فيما يعتقد هيجل أفكارها التي عودتها عن هذا الموضوع في الأديان بالإضافة إلى أرآها عن موقف الروح الإنساني من الألوهية والخلود. كذلك الإشكال في العلاقة بين الفلسفة والدين هو أن الآراء والنظريات متعارضة في هذا الشأن ، بحيث يعتقد مثل كير كجارد الفيلسوف الدانماركي ومؤسِّس الوجودية أن الدين لا يحتاج إلى العقل في إثبات مدعياته ، وإن محاولة إدخال المقولات العقلية أمرٌ غير مبرَّر، أي أن العقل والدين متضادان ، وأن الإيمان الديني الأصيل إنما يظهر حيث ينتهي العقل ، هذا المنطق لا يتقبله المؤمن الذي يدعوه الله للتفكر وإعمال العقل للوصول إلى الحقيقة . ويرى

---

[156] – لعله لا توجد كلمة في العربية أثارت جدلاً بين الباحثين مثل كلمة تأويل. فهي الكلمة التي امتازت بفتح الأفق وإكتشاف المثير والجديد، كما أنها هي نفسها التي أظهرت الطوائف الإسلامية باختلافها الموضوعي وغير الموضوعي الذي وصل حد الاقتتال، كما هي بذاتها التي أخرجت المدارس النقدية والفكرية والفنية المتميزة ودارت حولها أفكارها ومفاهيمها، وهي هي التي تثير جدلا واسعا الآن بين مفكري العصر الحديث، وهي هي التي عن طريقها يبلغ الأديب والفقيه ذروة غاياته. ولمعرفة التأويل أكثر لا بد من التطرق لعدد من المصطلحات اللغوية التي تتبع لكلمة تأويل مثل الدلالة والتفسير واللغة. التأويل من المصطلحات المختلف عليها في علوم الدين والقرآن عند المسلمين فمنهم من قال:يطلق في القرآن والسنة ويراد به التفسير، كما يراد به الحقيقة التي يؤول إليها الأمر أو الخبر.تأويل الكلام هو الرجوع به إلى مراد المتكلم، وهو على قسمين: الأول: بيان مراد المتكلم، وهذا هو التفسير. الثاني: الموجود الذي يؤول إليه الكلام، أي ظهور المتكلم به إلى الواقع المحسوس. وهناك من قال بأن التفسير غير التأويل مثل قول (الثعلبي): التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، والتأويل تفسير باطن اللفظ. ويكيبيديا

آخرون أمثال : توما الأكويني[157] وهو من كبار المتكلمين والفلاسفة المسيحين أن العقل والدين منسجمان بصورة تامة تقريباً . واعتبر أفكار أرسطو منسجمة مع المسيحية ، ولا يتصور إطلاقاً أن يرصد أحد أي تهافت بين أهداف أبحاثه الفلسفية وأهداف أبحاثه الكلامية[158] .

[157]- توماس أكويناس (622هـ-673هـ) (ولد 1225) وفي بعض المصادر 1226([7]، وتوفي في السابع من مارس/آذار 1274 راهباً دومينيكانياً، وفيلسوفاً، وكاهناً كاثوليكياً، ومَلفاناً في الكنيسة الكاثوليكية. فهو عالم لاهوت، وفقيه مؤثر للغاية في تقليد الفلسفة المدرسية (السكولاستية)، ويُعرف أيضاً بلقب العالِم الملائكي باللاتينية Doctor، ويحدد الاسم الأكويني أصول أجداده في منطقة أكوينو في لاتسيو الحالية في إيطاليا. ومن بين الشؤون الأخرى أنه كان مؤيداً بارزاً لعلم اللاهوت الطبيعي، وأبو مدرسةٍ فكريةٍ (تشمل كلّاً من اللاهوت والفلسفة) تُعرف باسم «التوماوية) «بالإنجليزية«Thomism» . جادل بأن الله هو مصدر كلٍّ من نور العقل الطبيعي ونور الإيمان، وكان تأثيره على الفلسفة الغربية كبيراً فقد عملتِ الفلسفة الحديثة على الكثير من أفكاره تطويراً وتنقيحاً، كما عارضتِ الكثيرَ منها لا سيما في مجالات الأخلاق، والحق الطبيعي، وما وراء الطبيعة، والنظرية السياسية. ويكيبيديا

[158]- المصدر America([2]) .، waeds worth publishing company 1987:p397

8 – جدلية الدين والأيديولوجيا

عندما نتأمل في معنى فلسفة الدين يتضح أن تعريفها يحوطه الإشكال المثير للجدل . لكن الدين شيء والأيديولوجيا شيء آخر ، فإذا كان الدين مجموعة من الأفكار الغيبية الإلهية التي يعتنقها الأفراد فإن الأيديولوجية مجموعة من العقائد الفكرية يعتنقها هؤلاء الأفراد . ونتيجة للتطور التاريخي سنجد أنه ما من دين إلا ونشأت من ثناياه أيديولوجيا ما . هذه الأيديولوجيا عبارة عن النسق الكلي للأفكار الشعبية سياسية وغيرها والمعتقدات وأنماط سلوكية معينة يتفرد بها كل شعب . تلك الأفكار والمعتقدات والأنماط تساعد على تفسير الأسس الأخلاقية للفعل الواقعي الشعبي ، وتعمل على توجيهه . و تبرير السلوك الشخصي ، وإضفاء المشروعية على النظام السياسي القائم والدفاع عنه . فضلًا عن أن الأيديولوجيا أصبحت نسقاً قابلاً للتغير استجابةً للتغيرات الراهنة والمتوقعة التي ترافق التطور التاريخي ، فالصهيونية هي أيديولوجيا تتكئ على الترسيمات اليهودية ولكنها ليست اليهودية ، والحق الإلهي للملوك في أوروبا وسلطة الكنيسة واضطهادها للعلماء أيديولوجية استندت إلى المسيحية ، وفكرة الحاكمية[159] وما تفرع عنها من أحزاب وحركات سياسية استندت إلى تأويل للإسلام وليست هي الإسلام . وهذا يعني أنه ما من دين قد نجا من استغلال أيديولوجي ، ولا ننسى أن للحرب تبرير أيديولوجي ديني ، إن لثنائية الدين والأيديولوجيا حساسيتها في السياق الفكر المعاصر . لا يجب أن يكون هذا الأمر دعوة لتفكيكها ، لأن جدليَّة الأيديولوجيا والدّين من بين الإشكالات الأساسيَّة التي حظيت باهتمام الفلاسفة والمفكرين ، بما هي علاقة بين الإلهي والإنساني ، بمعنى أخر هي علاقة بين فكر والفرد ، والغاية المنتظرة من هذا الفكر هل هي ما ننتظره أم لا ؟؛ فإذا كانت الأيديولوجيا تتمثل فيما ينبغي على الإنسان حمله من أفكار تظهر على سُلوكه ، وليست لها منفعة أو غاية ماديَّة ، وإنَّما غايتها في ذاتها التي غالباً ما تكون سياسية ، أو أن لكل طائفة من الشعب أيديولوجيتها الخاصة ، فإنَّ الدّين هو وسيلة للغايات التي يُريد الإنسان تحقيقها ، ولذلك غايته روحية ومنفعيَّة محضة ، فهل العلاقة الحاصلة بينهما علاقة اتصال أم انفصال ، وهل الأيديولوجيا هي التي تؤسّس للدّين ، أم إنَّ الدين هو الذي يُؤسّس للأيديولوجيا . ولن يبقى النقاش حول جدليَّة الأيديولوجيا والدّين حبيساً لأنه يكشف التناقض الكامن في السلوك الإنساني ؛ أي التناقض الحاصل بين سلوك الفرد المتديّن وسلوك الفرد المؤدلج ، فأيهم أقرب مَنزلة من سلوك الإنسان ؟ ؛ ويُشير مفهوم الأيديولوجيا إلى أنها مجموعة محددة من الأفكار والمبادئ والمعتقدات التي تقوم عليها الأنظمة السياسية أو الطائيفية أو القبلية بأشكالها المختلفة ، وتعمل الأيديولوجيا على تنظيم الأفعال والأهداف بشكلٍ مختلف بناءً على هويتها ، وكلما تطورت الأيديولوجيا سعت لإحداث التغييرات في المجتمعات ، وألزمت الأفراد والمجتمعات والثقافات بمبادئ معينة ، بحيث

---

[159] توحيد الحاكمية أو حاكمية الله هو أحد أوجه توحيد الله في الإسلام، ويُقصد به إفراد الله عز وجل وحده في الحكم والتشريع وأنه لا يُشرك في حكمه أحدًا من خلقه، ورفض ما دون حكم الله من تشريعات وضعية جاهلية فهماً من عدة آيات قرأنية مثل قول الله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ وغيرها ، يُعتبر مبدأ الحاكمية أو توحيد الحاكمية أحد أبرز المصطلحات الدينية التي اتخذتها المذاهب والتيارات الإسلامية في تأصيل موقفها من الحكم والحاكم ومؤسسات الدولة كافة، ورفض بعض تلك الجماعات الاشتغال بالعمل السياسي في البرلمان كونه يشرع قوانين من وضع الإنسان وهي شكل من أشكال منازعة الله في إحدى اختصاصاته في التشريع، فضلاً عن رفضهم الدستور الوضعي؛ كونه ينص على أن السيادة للشعب وهو ما ينازع الله أيضاً في سيادته على الجميع.فالله هو الحكم العدل له الحكم والأمر لا شريك له في حكمه وتشريعه. فكما أن الله لا شريك له في الملك وفي تدبير شؤون الخلق كذلك لا شريك له في الحكم والتشريع، وفي الحديث عن مُحَمَّد ﷺ أنه قال: «إن الله هو الحَكَمُ، وإليه الحكمُ» .ويكيبيديا

توافق هذه المبادئ والأسس مع أفعالها . وحقيقته أنَّها صورة الإنسان الباطنيَّة اللاواعية ، وهي نفْسها وأوصافها ومعانيها المختصةُ بها بمنزلة الفكر لصورته الظاهرة وأوصافه ومعانيه ، وتكون حسنة وقبيحة ، وتتعلق بأوصاف الصورة الباطنيَّة أكثر ممَّا تتعلق بأوصاف الصورة الظاهرة ، أمَّا على السياسي فإنَّ مفهوم الأيدولوجيا يُشير إلى جُملة من المبادئ "Principes" و المعايير "Normes" المتعلقة بالأمن والسياسة والاقتصاد ، والتي تتيح إمكانيَّة النظر في الأفعال الحكومية ، ومن ثم الحكم عليها بالقبول وعدم القبول ؛ فهذه المعايير بمثابة نواميس سياسية ، تنطبق دون استثناء ، على الرغم من اختلاف المجتمعات ؛ لأنَّ أساسها كونياً وليس خصوصياً . أعتقد أنَّ القاعدة الأيدولوجية تتسم بالكونيَّة ؛ فما يُعدُّ خيراً بالنسبة إلى مجتمع ما فإنَّه لا يُعتبر كذلك عند المجتمعات الأخرى ، وما يُعدُّ شرّاً بالنسبة إلى مجتمع ما ، فإنَّه ربما يُعتبر كذلك عند المجتمعات الأخرى ؛ أي هناك اختلاف بين المجتمعات فيما يتعلق بالمبادئ أو المعايير الأيديولوجية ، على عكس الدّين ، الذي يختلف وينعدم من مجتمع إلى آخر : فإنَّ مفهوم الدّين هو وحي إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسل ؛ والانقياد إلى أحكام هي جُملة من العقائد والأعمال التي وضعها الله أو/ و فكر بها الشارع . ويَبدو أنَّ العلاقة الحاصلة بين الأيديولوجيا والدّين علاقة اتصال ، وليست انفصال ؛ لأنَّ الأيديولوجيا تصبو دائماً إلى تحقيق غاية أو منفعة بعينها ، فهي تبحث فيما ينبغي الإيمان به ؛ وبمعنى حصري أدق فإنَّها تبحث فيما يجب اعتناقه وسلوكه ، ولذلك تركز بشكلٍ أساسي على تقويم اعوجاج الفكر الجمعي باعتباره فكراً غير مقبول ، وذلك من خلال جُملة من المبادئ والمعايير الفكرية ، التي من شأنها أن تُصلحه ، ومن ثم تجعله فكراً جمعياً مقبولاً له أفعال وردود أفعال متوقعة . فهي تلتقي مع الدين في هذه النقطة ، لأن الدّين إيمان بمجموعة من العقائد ترمي إلى تحقيق غاية أو منفعة بعينها ، فهو يُركز بشكلٍ أساسي على الغايات والمنافع المرجوة من الفعل ، فيصبح الدين والأيديولوجيا ليسا غاية في ذاتهما ، وإنَّما مُجرد وسيلة لتحقيق الغاية المتمثلة تحقيق الأهداف المرجوة من فعل الفكر والعقائد . من الواضح أنَّ الأيديولوجيا مُتصلة بالدّين برابطٍ ما وهو فكري معنوي حيث ينقل الأفراد أفكاراً دينية يخلطونها بايديولوجيتهم ، وهذا الاتصال هو الذي يُفسّر وجود أفراد غير مُتديّنين ، ولكنَّهم مُتشبّعون بالأيديولوجيا . وفي هذا الصدد : ما الذي حرّض العوام والأراذل على القتل والذبح ، وهم يرجون ثواباً ، وينتظرون مآباً ، ويخافون حساباً ، وفي المقابل نجد مؤمناً لا يُقْبِلُ على فعل الخير . فما الباعث على هذه الأفكار الشريفة أو الخصال غير المحمودة ؟ ما ذاك إلا لخفية في النفس وسِرٍّ مع العقل . وهل في هذه الأُمور ما يُشير إلى اختلاط فكر الفقيه مع فكر الطائفة أو القلبيلة أو السياسي . إنَّ للإنسان أفعالاً وهِمَماً وسجايا وشِيَماً يخلطها ويدمجها مع الفكر الديني الذي هو تأويلٌ للوحي الإلهي ، وله بداية في فطرته وعقله ما يعرف به الله ، وإنَّما تأتيه الشرائع لصقل فطرته والتنبيه عليها ، فتُثير ما هو كامن فيه ، إنَّ الأيدولوجيا مُتصلة بالدّين ؛ فكل مُتديّن مؤدلج نوعاً ما ، وما كل مؤدلج متديّن ؛ معنى هذا أنَّ هناك اتصالاً بين أن تكون مؤدلجاً ، وأن تكون مُتديّناً . إذن الأيديولوجيا تحتاج دائماً فيما يتعلق بذاتها سواءً موضوعيّاً فيما يخصّ الإرادة أو ذاتيّاً فيما يخصّ الاستطاعة إلى الدّين ؛ لأنَّها بدون الإستعانة بالتجربة العملية ليست مُكتفية بذاتها ؛ فهي لكي تصبح مُلزمة عبر صورتها المجرَّدة للشرعيَّة ينبغي أن تؤخذ طبقاً لها بوصفها فكراً في ذاتها للغايات ، فإنَّها تحتاج إلى أيّ سبب مادّي لتعيين مشيئتها الحرّة ؛ وذلك من أجل أن تعرف ماذا يكون الفكر وأن تحضّ على القيام به ، حسب تصوّرٍ دقيقٍ ، باعتباره آليةً عقليّة عمليّة ، وينبغي عليها حين يتعلق الأمر بالفكر ، أن تحتوي كل الغايات . ممَّا يعني هذا القول أنَّ الأيديولوجيا تقود على نحو لابدَّ منه إلى الدّين ، ومن خلال ذلك تتوسَّع الأيدولوجيا إلى حد فكرة مُشرّع ديني واسع القدرة والهيمنة ، وفي إرادتها تكمن تلك الغاية النهائيَّة للتقرب إلى الله ، والتي يمكن ويلزم أن تكون الغاية النهائيَّة . أعتقد أنَّ جدليَّة

الأيديولوجيا والدّين التي ما فتئت تنكشف في المجتمعات المتديّنة وغير المتديّنة المؤدلجة وغير المؤدلجة ، شكلت صورة صعبة الفهم ، نظراً لِمَا تطرحه من غموض ، مردُّه بشكلٍ أساسي إلى الاعتقاد الخاطئ بأنَّ الدّين فكر بينما هو شرائع وقوانين ، وأنَّ الأيديولوجيا توجد حيثما يوجد الدّين ، إذن فالعلاقة الحاصلة بينهما هي علاقة اتصال لا انفصال ؛ والمتأمل في المجتمعات المتديَّنة وغير المتديَّنة يَكتشف ذلك ، إذ يلاحظ وجود أفراد غير مُتديّنين ، ولكنَّهم مُتشبعون بأيديولوجيا المجتمع ويُقبلون على فكرها من لاوعيهم ، ويَطلبون الفضائل ويَبتعدون عن الرذائل ، ولذلك فإنَّ الأيديولوجيا تؤدي لا محالة إلى الدّين ، والدّين يؤدي بالضرورة إلى الأيديولوجيا لأنه يغذيها بالفكر ويشبع رغباتهم الفكرية الداعمة ؛ وهناك أفرادا مُتديّنون وليسوا ذوي أيديولوجيا ولهذا يلزمهم التأسيس الأيديولوجي للدّين ، وذلك من أجل أن ينتفي التناقض الحاصل بين المؤمن وأيديولوجيته ؛ إذن فالأيديولوجيا تستوحى من الدين والعقل ، فالعقل وحده يدرك وحدة القيم الأيديولوجية ، لأن من شأنه إدراك الحق والباطل في الفكر الأيديولوجي ، ثم يأتي الفقيه أو الداعية ويضع أحكامه على أساس ما أدركه العقل ؛ وهذا يعني أن الشرع تابع في هذه المسألة للعقل فالأصالة للأيديولوجيا أولاً وإلا فيستلزم تقييد حرية العقل وإرادته وهو محال . بينما يقول الرأي الأخر أن الحق والباطل شرعيين ، وأن الحق ما أحقه الشارع وأمر به ، والباطل ما قبحه الشارع ونهى عنه وعلى هذا فإن الأيديولوجيا تستمد مقوماتها من الشرع لا من العقل ، فالأصالة للشرع أو الوحي أولاً ومهما يكن من أمر فإنه بالإمكان الوصول إلى أن هذه الأيديولوجيا هي إمتداد إلى مسألة الحقوق الفكرية والدين والعلاقة بينهما وأيهما الأصل وأيهما الفرع ، فهل نقدم الدين على الحقوق الفكرية ، أم نقدم الحقوق الفكرية على الدين ، وهذا يعني أن نرى ضرورة إلتزام الشرع بالأيديولوجيا وعلى رأسها العدالة في رسم الحقوق الفكرية ، ومنها حق الدولة على الشعب ، فلا ينبغي للدولة حقوق على الشعب خارج إطار الأيديولوجيا ؛ أو أن حق الدولة غير محدود ، وبإمكانها أن تشرع أحكاماً تخالف ما نؤمن به من أفكار بعقولنا ، إن النتيجة المهمة المترتبة على هذا السجال تنعكس على الأيديولوجيا والأحكام الفقهية ، وهل للأيديولوجيا دور هام في فهم الدين ؟. وإن أهم مسألة فيما يتصل بهذا السجال الفكري بين الدينيين والعلمانيين تعود إلى جذور الفكر الحداثي[160] الذي يقوم على الأخلاق العلمانية ، والفكر الديني الذي يقوم على أساس الأخلاق الدينية ، لا سيما أن الدين مليء بالقضايا الأيديولوجية مثل قول الحق تعالى : " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ "[161]. وينطبق هذا الرأي على مسائل أُخرى كالوجودية والتأريخية ، لذلك تم توظيفها من قبل علمي الكلام والفقه ، إن للأيديولوجيا ميزة تجعلها تختلف عن الطبيعة الوصفية أو التأريخية ، فهي تتحدث عما ينبغي أن نفكر فيه . وهي من هذه الناحية تشترك مع المطالب الدينية التي تشجع على إعمال الفكر . فما الفرق بين الأيديولوجيا والدين ، إذا كان كلاهما يعالجان ما ينبغي أن يكون ويتحدثتان عن الحقوق والواجبات ؟ وهنا نصادف ثلاثة عناوين يشترك بعضها مع البعض في مساحة تتسع تضيق ، وهي الدين والأيديولوجيا والأخلاق . فلكل من هذه

---

[160] – يشير مصطلح الحداثة بصفة عامة إلى السعي الحثيث إلى خلق بنى وأنظمة فكرية ومجتمعية واقتصادية وسياسية جديدة والإطاحة بالبنى والأنظمة القديمة القائمة، كما يشير إلى انتشار منتجات النشاط العقلي العلمية، والتكنولوجية والإدارية –البيروقراطية، ويشير كذلك إلى الفصل الحاد بين قطاعات الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، حمل الحداثة تصوراكونيا يحل العلم فيه محل الله، ويتخذ مكانه في المجتمع (المجال العام) على حين يقتصر حضور التصورات والممارسات الدينية على الحياة الخاصة للفرد (المجال الخاص)، إذ من المستحيل تطور إطلاق لفظ "حديث" على مجتمع يسعى لأن ينتظم أموره وأفعاله وتصوراته وفقا لوحي إلهي. فاطمة حافظ : باحثة ومؤرخة مهتمة بالدراسات الإسلامية حاصلة على الدكتوراة في الآداب من قسم التاريخ بجامعة القاهرةhttps://islamonline.net . .

[161] – آل عمران 110

العناوين جوهره المتميز عن غيره ، وهناك مشتركات موضوعية بينها ، ورغم أن الارتباط الحقيقي بين الدين الأيديولوجيا يرتد في الأساس إلى العلاقة بين الفكر والفهم الديني وليس الدين ذاته ، لكن ذلك لا يمنع من وجود هذه فالدين نص يتضمن فكر ومعرفة ، وهو من هذه الناحية يشير الى موضوعات مشتركة مع الأيديولوجيا ، فكل منهما يحمل نتاجاً معرفياً ازاء ذات القضايا الموضوعية ، لكن الأساس الذي يجعلهما يتصلان هو إن للدين طابعاً فكرياً كالأيديولوجيا التي تتصف طبيعته بالمحافظة على المحتوى الفكري فحسب . إن الأيديولوجيا هو معرفة موضوعية للمجتمع ، وأن النص الديني يحمل بدوره أفكار قابلة للفهم والتطبيق على المجتمع . وهو من هذه الناحية يتضمن مستويين ، الأول موضوعاً ، والثاني فهو أنه منتج للأفكار فهو من جانب يقابل الوحي فيكون موضوعاً ومن جانب آخر يقابل الأيديولوجيا في انتاج الأفكار . إن جدلية الدين والأيديولوجيا تعبر عن نفسها في الثقافة السائدة . أحياناً يطغى التصور الديني على التصور الأيديولوجي وأحياناً يطغى التصور الأيديولوجي لأسباب مختلفة . إلاّ أنهما يتفقان ولا يختلفان حد الصدام ليخلقان فكر مزدوج في زمان ومكان واحد ، هذا لايعني أن الدين والأيديولوجيا يمكن تفكيكهما على المستوى التحليلي ، فلكل منهما مصدره وتعليلاته لأفكار وسلوك الفرد . إن التصور الديني المتعلق بالمعاملات والسلوكيات كنتاج للفطرة الإنسانية وتفسير النصوص تصور مطلق يعتمد على الغيب كمصدر رئيسي في إنتاج الأيديولوجيا الدينية ويغلف هذا الإنتاج بالقداسة فيصعب تحليله لحساسيته ولتعرض كل من يخالف الفقيه للتكفير والهرطقة والزندقة . لكنه يبقى محصوراء بالتجربة الذاتية والتجربة الموضوعية والخبرة . والدين لا يقبل التعدد فيتحول إلى أيديولوجيا تحكم المجتمع حسب رؤية الدين وليس بما هو كائن فيصطدم بالواقع بالعقول ، وتعدد الثقافات والعادات والتقاليد . أما التصور الأيديولوجي فهو نسبي معرض للتغيير ويقبل التعدد بحكم العقل والتجربة المجتمعات ، إضافة لكل ذلك فإن الأيديولوجي يرتبط بالمقدس لذلك لا يمكن مناقشته فهو متناقض . تبدأ الأيديولوجيا بالعقل والتجربة ويحسب حساب الأفكار المؤدية لذلك الفعل ، فهي خاضعة للتغير بحكم الزمان والمكان . إن كل ماهو أيديولوجي يرتبط بالثقافات المتعددة للمجتمع ومنها الدين ويحسب حسابه ضمن منظومة من القيم داخل تلك الثقافات ويعيد إنتاجها بعد التعديل مع كل جيل جديد . إن فلسفة الحياة لن تمنعنا من إنتاج ايديولوجيا قائمة على أساس عقلي تحمل الفضيلة وتسعى نحو الكمال ، فموضوع الأيدولوجيا يجب أن يدور حول حب الأوطان والعدلة الإجتماعية والحرية الفكرية ؛ والجمال مع بمبادئ الدين والفلسفة العقلية . وبهذا يصبح هناك موضوع فلسفي يفتح الباب لجدل ونقاش واسعين عن القيم والمبادئ الأيدلوجية . إلا أن النقطة المفصلية في تاريخ الفلسفة تأتي حين نفصل علم فلسفة الأيديولجيا عن الفكر الديني كفكر مستقلٍ بذاته ونحن نعيش الفلسفة العقلانية والتجريبية بكل معانيها . ذلك يستوجب أن تقوم الأيديولجيا على أساس عقلي وإسقاط البعد العقائدي عنها ، وعلى أساس "تجريبي" ، سيعبر هذا الموقف الجديد عن موقف ضد الدين وسيدفع الكثير من العدميين عن أثبات وجود الإله . لقد فتح ديكارت الفيلسوف الفرنسي الباب أمام الوجود الذاتي للأنسان من خلال مفهوم العقل . فجاء بعده ليبنيز الذي يعتقد أن البحث عن الكمال لابد أن يعتمد على العقل بدل التشبث بالنص الديني المقدس ، وفي المقابل يجب أن تركز الفلسفة التجريبة للأيديولوجيا وأن تعتمد على فكرة التعايش بسلام مع الآخرين ، رغم أن الفكر العسكري يرفض هذه الفكرة لأنه يعتمد على المصالح ، على رأي هوبيز : "بأن القانون الطبيعي للبشرية هو حرب الكل ضد الكل وأن الإنسان ليس كائن ميكانيكي يسير بإيعاز من رغباته وطموحاته التي تعبر عن نفسها بذلك القانون الطبيعي" . إن الطريق الصحيح للحياة يمر عبر التجربة والإستفادة من الدروس السابقة مع إعمال الفكر والتوحيد ، إن الأيديولوجيا لا تبحث عن سعادة الإنسان كالدين والأخلاق ولكنها ربما تصل بالمجتمع ككل إلى حد

من الرفاهية الفكرية . أعتقد أن التصور الديني يتاقطع مع التصور الأيديولوجي ويمكن أن يكون قاعدة له ، وإنتاج الكثير من القيم الإنسانية الموروثة من الفطرة التي يؤمن الفرد بعقله وتجربته بصحتها أو بطلانها ، إن هذه القاعدة لا تتفق مع المستجدات التي يتوقف عندها التفسير الديني . كالحرية وحقوق الإنسان والحفاظ على البيئة وغيرها . إن كل ماهو الأيديولوجي يجب أن لا يربك الحياة لأنه سيخلق حالة من الإزدواجية في شخصية الفرد والمجتمع بمرجعيتيه الفكرية والأخلاقية إن فُصل عن قاعدته دينية . فالدين يبعث الروح في السلوكيات الفطرية ويعطيها قيمتها الأيديولوجية جنباً إلى جنب مع الخبرة والتجربة والعقل ؛ خلاف ذلك من خلال من التشريعات التي تصطدم بالواقع تجعل الفرد والمجتمع ينفر من الدين باعتباره عائق لايمكن تجاوزه . إذن أفضل تعريف للدين هو : "الدين رفاهية فكر الفقيه " وأن أفضل تعريف للأيديولوجيا هو : "الأيديولوجيا هي رفاهية الفكر الجمعي" .

9 – ثُنائية الموت والحياة

الموتُ نقيض الحياة ، وهو موجود لأنه مخلوق ، وهو ليس فناء لأنه معبر ننتقل من خلاله من حال إلى حال ومن دار إلى دار ، والمعنى البديهي للموت خروج الروح من الجسم وهو الثاني أما الأول فهي الحياة خلقت أولاً وهي سريان الروح في الجسم فقط بدون شروط أخرى ؛ وقالوا : الحياة هي الصفة التي يكون الموصوف بها بحيث يصح أن يعلم ويقدر ، واختلفوا في الموت ، فقال منهم : " إنه عبارة عن عدم هذه الصفة " ؛ وعند الوفاة تنفصل النفس عن الفؤاد بعد أن تكون قد تجسدت فيه ، وهو ما يسمى بثلاثية النفس والقلب والعقل . حيث تتولد الحياة الفكرية من هذا اللقاء الفزيائي ولا يحدث الموت لدى انفصالها لأن الموت يتطلب خروج الروح وليس النفس ؛ يقول الحق : " اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "[162] . "يستحيل علينا أن نتصور جسد منفصل تحل فيه نفس إلهية ذات وجود سابق ، النفس معاصرة للجسد الذي تقوم اتجاهه بوظيفة مبدأ الأحياء الكامن فعندما تذهب يتبدد ويصبح جماداً "[163] ، حسب أرسطو . والنفس قوة الروح التي يحي بها الجسد فيصير جسماً . ومنها قولنا الثقة بالنفس فهي قوة الروح وقوة الذات ، يقول غابرييل مرسيل[164] : " إن الرغبة في تحليل مشكلة الموت لا تفرض علينا القبول بضرورته فالموت ليس موضوع تأمل فكري بل هو تجربة تعاش كما يتعايش المرء مع السر " . فالموت لحظة حاسمة من لحظات هذا الوجود ينبغي أن نستسفر من الحياة عن طبيعة تجربة الموت وعن احتمالاتها . والموت والحياة لكل الوجود يقول الحق : " يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ "[165] ، " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ "[166] . والموت والحياة ضاهرتان اجتماعيتان وليستا مشكلتان ، والحياة أجدر بالدراسة والتأمل من الموت لأنها طريقنا إلى الموت ، فكلما كانت الحياة أسهل كان الموت أسهل لأنك متصالح مع ذاتك منعزل عن لذاتك ، إذن فالاستعداد للموت هو المفتاح ، في إعادة صياغة للإمبراطور الروماني والفيلسوف الرواقي ماركوس أوريليوس[167] : " لا تسأل نفسك كم ستعيش ، بل كيف ستعيش . وعندما تنخرط في كل فعل معين ، توقف واسأل نفسك هذا السؤال : هل الموت

---

[162]– الزمر 42

[163]– خالد علمي "كاتب وباحث مغربي"https://www.hespress.com.html

[164]– غابريل مارسيل بالفرنسية(Gabriel Marcel) : (7 ديسمبر 1889 – 8 أكتوبر 1973)، الفيلسوف الفرنسي، والكاتب المسرحي، والناقد الموسيقى، وقائد الوجودية المسيحية .ألف أكثر من اثني عشر كتاباً وثلاثين مسرحية على الأقل، ركزت أعمال مارسيل على نضال الفرد في المجتمع من الناحية الإنسانية. وعلى الرغم من أنه يعتبر في كثير من الأحيان الوجودي الفرنسي الأول، إلا أنه انفصل عن شخصيات مثل جان بول سارتر، ويفضل مصطلح «فلسفة الوجود» أو «السقراطية الجديدة» لتحديد فكره. «سر الكينونة» هو عمل معروف مكون من مجلدين من تأليف مارسيل.

[165]– الروم 19

[166]– آل عمران 185

[167]– ماركوس أوريليوس أنطونينوس أوغسطس باللاتينية (Marcus Aurelius Antoninus Augustus) :(26 أبريل 121 – 17 مارس 180) هو فيلسوف رواقي والإمبراطور الروماني السادس عشر (161 – 180) وخامس الأباطرة الأنطونيين الرومان. وهو أبو الإمبراطور كومودوس. كان أحد آخر «خمسة أباطرة جيدون» حكموا الإمبراطورية الرومانية من 96 إلى 180م، كما أنه يُعتبر من أهم وأبرز الفلاسفة الرواقيين. تولى عرش الإمبراطورية الرومانية مع أخيه المتبنى لوسيوس فيروس من 161م وحتى وفاة فيروس في 166م، ومن ثم مع ابنه كومودوس منذ عام 177م. أُطلق عليه مسمى الفيلسوف من بين الأباطرة الرومانيين، كان ممارساً للفلسفة الرواقية، استولت كتاباته الفلسفية الشخصية والتي سُميت لاحقاً بالتأملات مصدراً هاماً للمفهوم الحديث للفلسفة الرواقية القديمة، والتي مازالت تعتبر من قبل الكثير من المعلقين كأحد أعظم الأعمال الفلسفية والصروح الأدبية في الحكم والإدارة.ويكيبيديا

شيء فظيع لأنني سأحرم من هذا ؟ " . يقول الحق : " إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ"[168] ، إن الموت لا يهدد وجودنا ، فالحياة بعد الموت هي الحياة الحقيقية والأبدية أما الحياة الدنيا فهي لهو فالاهتمامات البسيطة والسقوط في العالم تحجب عنا هذه الرؤية ، يقول الحق : " وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ "[169] ،(لَهِيَ الحَيَوانُ) قال الطبري : لا موتَ فيها . وما رأينا شيئا أسرع نسيانه على الإنسان من الموت كأنه على غيرنا كُتب، وكأنه لغيرنا خُلق ، وما أعجب مقولة سيدنا علي ﷺ : " ما رأيت حقيقة الناس منها في شك كالموت ، كأنه على غيرنا كُتِب". إن الحياة بعد الموت لها من السمات التي تجعل من العقلانية لا تخشاها ، مع إمكانية تمضية تلك الحياة الأبدية في الجنة مثلاً . وهي الاحتمالات التي طرحت بكل جدية فالخلود لن يتحول إلى حياة لا طائل من ورائها لأن فيزياء الدنيا ليست فيزياء الخلود هذه القوانين التي تحكم حياتنا اليوم لن تكون موجدة غداً ، ولهذا يجب أن ننظر إلى الحياة الآخرة من زاوية أخرى فكل شئ سوف يتغير يقول الحق : "يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ"[170] ، وقال رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام : " فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر "[171] ، وهو أمر يحق لنا أن لا نخشاه ، وحقيقة أننا لسنا فانون تدفعنا إلى أن نتيقن من أن قيمة الحاضر رخيصة جداً . ولسوف يتسنى لنا هذا المعنى والوقت السرمدي لنفعل ما نشاء . فحقيقة الموت لا تضفي على حياتنا كثيراً من المعاني ، بل ما بعد الموت الذي يحتويها . إذن الموت لا يقهر ، لا في الروح ولا في الجسم أيضاً . والعلاج هو قناعتنا بأنَّ أنفسنا تعود إلى بارئها بعد أن تترك الجسد ، وأن أرواحنا من أمر الله . وأنَّ هذا الاعتقاد قائم على تعاليم الدين وليس على أسباب طبيعية ، أرى من المفيد ألا نضيع الكثير من الوقت والجهود في فهم الموت وما بعده ، بل أن نعتني بالحرية الفكرية إلى أن نصل إلى حقيقة التوحيد السعادة الحقيقية في الحياة ، فهي الموضوع الجوهري الذي ينبغي أن تنصب عليه جهودنا في الدرجة الأولى . ومن الصعب أن نصل إلى تحليل عقلاني للموت والحياة لأن الأيدولوجيا السائدة والدين سوف يصلون بنا إلى " المقاربة العاطفية " . فالعقل البشري لا يدوم إلا بدوام الجسم فهو مرتبط بالقلب ، غير أن هناك بالرغم من ذلك شيئاً ما تقتضيه ضرورة الخلود ، وهذا الشيء الذي يتعلق بماهية الروح التي ستكون أزليةً بالضرورة ؛ أما الحياة ليست إلاّ قناع يخفي ماهيتنا وهي نشاطٌ أكثر عمقاً وأقوى مغزىً من الموت نفسه ، وهي الحب نفسه لأنها نقيض الموت الذي هو الخلاص من الذنوب فلا ذنوب بعد الموت إنما الإستعداد للحساب ، بذلك يتضح أن الموت ليس هدف للحياة كما قال " شوبنهاور " ، إنما هدف الحياة هو الموت ؛ أما الفيلسوف الروماني الشهير "إبكتيتوس[172]" تحدث في بعض دراساته عن الموت حيث قال : "بأنه ليس هناك شر في هذا لكون ، وحتى الموت يتحول في النهاية إلى خير يخدم الطبيعة "[173] ، وعلى الرغم من مثالية ديكارت إلا أنه كان

---

[168] – الجمعة 8

[169] – العنكبوت 64

[170] – إبراهيم 48

[171] – الطبراني (ت 360)، المعجم الأوسط 224/1 ، لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج إلا بقية تفرد به هشام بن خالد.

[172] – أبكتاتوس باليونانيةEpictetus ، بالإنجليزيةἘπίκτητος ؛ 55 م – 125م أو 130م فيلسوف رواقي روماني، قال أن معين السعادة هو النفس لا الأشياء الخارجية. دعا إلى الأخاء، ولم يكتب شيئاً، فروى عنه تلميذه آريانوس.ينتمي إلى المدرسة الفلسفية التي أسسها زينون الرواقي صاحب نظرية المدينة الكونية.كان إبيكتيتوس عبداً لأفروديت عتيقة «نيرون». وتعلم الحكمة على الفيلسوف الرواقي موزُنيوس روفوس لكنه أعتق بعد وفاة «نيرون» عام 68م. وفي عام 89م نفاه الإمبراطور الديكتاتور دوميتيانوس من روما فرحل إلى مدينة نيكوبوليس حيث قضى بقيّة عمره يعلم الفلسفة ومات فيها.المعروف عن إبيكتيتوس أنه لم يخلف كتباً، لكن تعاليمه وصلتنا عن طريق تلميذه آريانوس الذي جمعها في كتابين هما: «المحادثات» المؤلف من أربعة أجزاء، و«الدليل المختصر».

[173] https://www.annajah.net

يدعي مقدرته على دفع الحياة نحو تأجيل الموت ، ولذلك عندما توفي كتبت صحيفة فرنسية هذا العنوان (لقد مات في السويد أحمق كان يقول إنه يستطيع أن يعيش إلى متى أن يريد)[174] ، وكأن حتمية الموت تدفع بالبعض إلى إلغائه ، كما فعل برنارد شو حينما زعم أنه لن يموت . ما من حقيقة أكثر وضوحاً وغموضاً من الموت ، وضوحاً في حتميته ، وغموضاً في ماهيته . "أوليس باسكال"[175] من قال: " إن كل ما أعلمه هو أنه قد قضي علي بالموت ، ولكن ما أجهله إنما هو هذا الموت باعتباره شيئاً لا سبيل لي إلى الخلاص منه "[176] . ألا ترون معي أن الموت ضروريٌ من أجل أن تستمر الحياة . تقول سوزانا سيجل[177] ، أستاذة الفلسفة في جامعة هارفارد : " في كل من السياسة والحياة اليومية ، من أسوأ الأشياء التي يمكن أن نفعلها هو التعود على الموت ، والتعامل معه على أنه غير ملحوظ أو أي شيء آخر غير الخسارة "[178] . وبالنسبة لسقراط ، يكمن معنى الحياة البشرية في الفلسفة ، في معرفة الذات المستمرة ، والبحث الأبدي عن نفسها عن طريق الاختبار . التغلب على السلوك ينطوي على إيجاد ما هو خير وشر ، جميل وقبيح ، الحقيقة والخطأ . أعتقد أن سقراط كان يلمح للعبادة التي هي أساس الحياة ولُبّها لأنه عندما تسير الأمور على ما يرام ، يبقى الموت في الخلف ، ومن هناك يتشكل وعينا بكل شيء آخر. حتى عندما نجتاز اليوم بسهولة ، فإن احتمال الموت لا يزال يحيط بنا بطريقة ما . يقول الحق : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ "[179] ، وبيّن أن "اللام" في " ليعبدون " لام العلة ، أي ما خلقتهم لعلة إلا علة عبادتهم إياي . والتقدير: لإرادتي أن يعبدون ، ويدل على هذا التقدير قوله في جملة البيان: "ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون"[180] . وإدراكاً لحتمية الموت ، لا يتعب الناس من البحث عن طرق لمواجهته . نأتي لهذه الحياة لنعيش ثم لنموت وحياة الإنسان أعلى قيمة من الموت لأنها تستحق المعناة ، لذلك إذا لم يدرك الإنسان غرضه من حياته الطويلة ، فلن يكون ذلك ذا قيمة وإن عاش ألف عام . إذن فالموت هو استمرار الحياة . يقول الحق : " وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ "[181] .

---

[174]– الدكتور مالك المكانين باحث في الفلسفة السياسية ومحاضر غير متفرغ في الجامعة الأردنيةhttps://www.aljazeera.net/blogs .

[175]– لم أعثر له على ترجمة

[176]– الدكتورمالك المكانين مصدر سابق

[177]– سوزانا سيجل أستاذة الفلسفة في جامعة هارفارد. تعمل حاليًا على مواضيع في فلسفة العقل ونظرية المعرفة. نُشِرَ كتابيها ''محتويات التجربة المرئية وعقلانية الإدراك'' بواسطة جامعة أكسفورد. تشمل المنشورات الأخرى ''ثري أم رفيع؟''، وهو نقاش مع أليكس بيرن حول محتويات الإدراك في ''مناظرات معاصرة في فلسفة الإدراك''. ''نظرية المعرفة لتأثيرات الاختيار''، في دراسات أكسفورد في نظرية المعرفة؛ و ''النفاذية المعرفية: النمطية، ونظرية المعرفة، والأخلاق'' مع زوي جينكين. وهي الرئيس السابق للجمعية الأمريكية للدراسات العلمية للوعي. والرئيس القادم للجمعية الجنوبية للفلسفة وعلم النفس. ألقت في عام 2018 محاضرة شاول كريبك، مركز الدراسات العليا بجامعة مدينة نيويورك، وفي عام 2020 ألقت محاضرة جاك سمارت، في الجامعة الأسترالية الوطنية. في عام 2019، حصلت على الزمالة المئوية للجمعية الفلسفية الإسكتلندية، جامعة جلاسكو، وفي عام 2012 حصلت على زمالة والتر تشانينج كابوت.

https://mana.net[178]

[179]– الذاريات56

[180]– محمد أبوبكر المصلح : أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر

[181]– البقرة 251

10- أنا

أما نحن[182] فلنا فلسفتنا الخاصة لأننا نعيش حياتين في حياة واحدة لها مفهوماً حاملاً معانيَ متراكمةً ودلالات متقاطعةً الأولى خارج الأسوار والثانية داخلها ، ولكل واحدة ما لها وما عليها ، كطيارين فإن حياتنا توترٌ دائم بطبيعتها داخل القُمرة ، ودلالاتها خارجها كاتخاذ القرارت السريعة الصارمة أو حساب الوقت بدقة متناهية ومحاولة أن نكون أمام أنفسنا بثلاث خطوات ، وهكذا نخلق حيز من التوتر نستطيع أن نعيش فيه ، فنمط حياتنا دائماً مبهم وغامض ينطوي على التباس مسبق لكلّ موقف وديمومة وامتداد ، وتتابع زمني ، وهذه كلّها خصائص مميّزة تجعلنا ننظر إلى الحياة بمنظار مختلف ، حتى أصدقائي وزملائي المتقاعدين مازالوا على نفس المستوى من التوتر ، ومن يخرج من هذه الدائرة فلن ينجو ، فبمجرّد زوال هذا الالتباس سيشهد خلق الاعتراضات المرفوعة ضد الحرّيّة وضدّ الحياة . بناءً على ذلك كيف نحدّد الحياة ؟ وهل نستطايع فعلاً أن نحلّ مشكلة الحياة اعتماداً على " التوتر الخلاّق " ، باعتبارها أساس الحياة ونسيجها ؟ وما طبيعة العلاقة بين ذاتنا العسكرية "الجوية" ، وفلسفة تفسير الحياة ذات الوجهين ؟ . عندما كنا نتدرب على الطيران في فرنسا كان أحد المدربين يقول لنا : " عندما تفتح باب الطائرة اضغط على زر تشغيل دماغك ، بعد المهمة اقفل باب الطائرة واضغط على زر قفل دماغك " . ربما تبدو مضحكة ولكنها فلسفة حياة مرتبطة بالمادة بالضرورة . فإذا اعتبرنا من وجهة نظر معيّنة أنّ مفهوم حياتنا يحتلّ مكانة جوهريّة في الفلسفة ، فإنّ ذلك تصوّر حيوي يجد زمن التوتر والقلق في جلّ زواياها ، بل إنّه جوهرها وأساس تقدّمها . وما ينبغي علينا فهمه هو أنّ الزمان تراكم علينا كتراكم المهام ودوام كدوام الواجبات وتزايدت أحداثه شئً فشئً إلى أن تضخّم فأصبحنا اليوم . هكذا فالحالات التوتر إذا توقّفت عن التطور توقّفت ديمومة حياتنا ، وسبب ذلك أنّ ذاكرتي تأخذ من الماضي لتعيش ، وأنّ حالتي النفسية كلما تقدّمت في طريق التوتر نضجت بالديمومة أي بتواصلها مع الأمس ، هناك تداخلاً وتشابكاً داخل الحياة ، والخيطان الناظمان لهذا التداخل " الزمن والتوتر "، هو الزمان المتّسم بطبيعته الحيويّة والمبدعة ، بين الماضي والحاضر والمستقبل ، والتوتر هو آفات القلوب ؛ وهكذا فالذي يقلّب سوادنا ويؤرّقنا ويعذّبنا يحتلّ المكانة الأولى في تأمّلاتنا الميتافيزيقيّة . إنّها صورة عجيبة تفرض ذاتها علينا بشكل دائم ، لأنها تنبع من داخل ذواتنا وأعماق حياتنا وأغوار وجودنا بطبيعتها الجوية الحيويّة ، وسيروراتها المتعاقبة طالما هناك سماء . إنّ حياتنا حسب المدرب الفرنسي تستلزم وجود العقل والطائرة على أساس أنّ العقلانية والماديّة هما من طبيعة واحدة ، وحاصلتان بطريقة واحدة ، فانسجامنا مع المادة يقابله استحالة فصل أحدنا عن الآخر ، إن العلاقة بين المادة والعقل تدفع الروح إلى الإنسجام مع ما يراه العقل فتهواه . وهكذا نلمس طابعاً آخر للحياة لا يراه غيرنا ، إنّه الطابع الغرامي الوظيفي ، ولطالما يسألني كثير من أصدقائي من خارج وظيفتي عن الطيران أقول له إنه عشق بلا حدود ولا قيود ؛ هذا قدرنا بالتوتر نعيش وبالسكينة تفارقنا الحياة . فثمّة أحداث تبدع في كل آن شئٍ جديدٍ ، فتبقى خارج قوانين الطبيعة في اللامعقول وتأبى الدخول في الترميز ، إنه الإبداع الحقيقي في الحياة لأنّه غير قابل للتحليل العقلي ، هذه خصائص الحياة الجوية في صورتها العامة ، من انفعالات وعواطف وأحاسيس وأفكار، لا تتحقّق تحقّقاً تاماً ، لكنها تسعى نحو الكمال ، لأنّها نزاعات ، ومن صفات حياتنا ، أن لا نبحث عن الفردية فحينما نكون طاقم في طائرة أو في تشكيل من الطائرات نكون جميعنا روحاً واحدة تلامس الأفلك وتحاكي النجوم وتدغدغ أحلامنا وعواطفنا وأمانينا ، إننا ننزع إلى تأليف منظومات معزولة ومغلقة بالطبع كما على الأرض تماماً مجتمع منغلق على نفسه ، وهذا يعني أنّ

[182] - الطيارون

تعاملنا مع السماء والأجواء دائماً "يقطع من نسيج الطبيعة بمقص إدراك حسّي يتتبّع نقاط الخطوط التي تمر بها أفعالنا" أثناء الطيران [183] ، وهكذا تصبح حياتنا النفسيّة تيّاراً متّصلاً من الظواهر المتنوّعة ، لأنّها تقدّم متراكم ومتتالٍ من الواجبات المتداخلة ، بخلاف الظواهر السماوية التي هي كثرة من الأحداث المتمايزة والمتعاقبة . فلو افترضنا مثلاً أنّ وجودنا في مجموعة مركّبة من حالات نفسية منفصلة تربط فيما بينها ذات عديمة التأثّر، لفقدنا ارتباطنا بالزمن ، لأنّ الذات التي لا تتغيّر لا تدوم ، وبناء على ذلك لن نحصل إلاّ على تقليد مصطنع للحياة . ذلك لأنّنا نهمل الزمن والآفات الذي هو نسيج الحياتنا النفسيّة ، إن ارتباطنا بالزمن يعطينا نوع من ديمومة الذات آنا ستحلّ محلّ آنا آخرى ، وإلاّ لما كان هناك كمال ، ولما تحقّق امتداد الأمس باليوم ، أي لما كان التطوّر الذي هو ميزة حياة عسكر الجو . إذن هي ذواتنا الأكثر اتّصالاً وانسجاما ًمع التوتر ومع ما يسمى بالزمن النسبي الذي يملأ النفس الذي تمضي فيه وتنتقل من الماضي إلى الحاضر ، حاملة معها هذا الماضي ، هذا لا يحدث مع زملائنا المدنيين لأنهم لا يتمتعون بروح الفريق ولا يعيشون داخل الأسوار . بهذا نجد أحوال النفس متّصلة بالمادة ومستمرّة بالتوتر مختلطة ومتداخلة كماً وكيفاً ، إذن فحياتنا تنمو وتنضج دون انقطاع ، إن السعي نحو الكمال لهو الفضيلة بعينها ، وإنها لعمري لرأس الحكمة وأشرف الأفعال ، والحكمةُ ضالةُ المؤمنِ فحيثُ وجدها فهوَ أحقُّ بها ، بهذه الحياة الملائمة للطبيعة عرفنا أنفسنا وذواتنا ، كلمة FLY تعني طيران بالإنجليزية نفسرها هكذا First Love Yourself ، وتعني حب نفسك أولاً . والحكمة هي ألا نخالف الطبيعة ، ولذلك فإن فلسفة العسكر عملت على تمجيد العقل ، فالحياة من دون الالتزام بالقواعد التي يسنها العقل ليست جديرة بأن تعاش وهكذا تجد المجتمع العسكري أكثر انضباطاً وصرامة من غيره من المجتمعات . يقول دوستويفسكي[184] : " إن سر الوجود البشري لا يكمن فقط في البقاء على قيد الحياة ، ولكن في العثور على شيء يعيش من أجله "[185] من الطبيعي أن يفكر الانسان في الموت وهو يقترب اليه أكثر من السابق ، عندما كنا نبحر في قارب صيد صغير لا يتجاوز طوله بضعة أمتار نصارع أمواج عاتية كان يسألني بعض البحارة ومنهم أصدقاء وجيران : أيهم تخاف أكثر البحر أم الجو ؟ فأجيب بدون تردد أو تفكير من أعماق اللاوعي : البحر ! ، فيندهشوا من الإجابة لأنهم جميعهم توقعوا العكس ؛ وهي ظاهرة تقود الى التأمل فى عناصر الحياة والكون المجهولة ، عندما كنا نصارع الأمواج مع إخوتي أحياناً ، أو نغطس مع الأصدقاء إلى أعماق تقارب الأربعين متراً أقول في نفسي " وَعدٌ ! لئن نجوتُ اليومَ فلن أعودَ مرةً أخرَى " ، وهكذا تراني أعودُ مرة تلوَ المرة ، بينما في الجو لم يحدث ذلك أبداً أبداً رغم أنني واجهت جميع أنواع الحالات الطارئة المكتوبة بالخط الأحمر في كتيبات دليل الحالات الطارئة ، كاشتعال النار في المحركات أو ظهور الدخان في قمرة القيادة ، أو انقطاع كامل للكهرباء ، وغيرها من الحالات المرعبة ، كسواء الأحوال الجوية أو فقدان الأثر فوق الصحراء ... الخ... ، وقد انطبع هذا الفكر عن الموت إلى وجود فعلي بين أيدينا ، حينما تتوضع الطائرة في المهبط تتفتّح لنا آفاق من الموت جديدة فإذا فارقت الأرض تعطينا تلميحاً عن الحياة ،

---

[183]– حسب هنري برجسون في كتابه التطوّر المبدع ص 16، أَنْرِي بِرْجْسُون (بالفرنسية: Henri Bergson؛ 1859–1941 م) فيلسوف فرنسي. حصل على جائزة نوبل للآداب عام1927. يعتبر هنري برغسون من أهم الفلاسفة في العصر الحديث، كان نفوذه واسعا وعميقا فقد اذاع لونا من التفكير وأسلوبا من التعبير تركا بصماتهما على مجمل النتاج الفكري في مرحلة الخمسينيات ولقد حاول أن ينقذ القيم التي اطاحها المذهب المادي، ويؤكد إيمانا لا يتزعزع بالروح.

[184]فيودور ميخايلوفيتش دوستويفسكي بالروسية(Фёдор Миха́йлович Достое́вский :) ;بالروسية : ˈfʲɵdər mʲɪˈxajləvʲɪtɕ (dəstɐˈjɛfskʲɪj) ؛ (11 نوفمبر 1821 – 9 فبراير 1881) هو روائي وكاتب قصص قصيرة وصحفي وفيلسوف روسي. وهو واحدٌ من أشهر الكُتاب والمؤلفين حول العالم. رواياته تحوي فهماً عميقاً للنفس البشرية كما تقدم تحليلاً ثاقباً للحالة السياسية والاجتماعية والروحية لروسيا في القرن التاسع عشر، وتتعامل مع مجموعة متنوعة من المواضيع الفلسفية والدينية.

[185]– أشهر اقوال دوستويفسكي العميقة تصفح على موقع فرصةhttps://www.for9a.com/learn

وتشاء الأقدار أن نُبعث ونتقابل ونتبادل الهمسات والغمزات ونتحدث ، وهكذا هو التوتر لا يؤتمن كأنه الموت ؛ إنه لغز محير لا ندركه ، كنا نرى أحبابنا يسقطون أو يغرقون ، ومع ذلك الألم الذي كان يعتصرنا كنا نقول دائماً: " غداً سنطير ، أو غداً سنبحر " ؛ أيها الطيار يمكنك أن تعطي حياتك مزيداً من التوتر كي تعطي أيامك مزيداً من الحياة ؛ وبالرغم من هشاشة مكتسبات الحضارة إلاّ أن تأثيرها كان له وجهان مختلفان كأنها غير حقيقية ، في البحر ميول البشر تميل نحو العدوانية أكثر مما تميل نحو التسامح بسبب عوامل نفسية واجتماعية ، في الجو تميل نحو العقلانية والنظر إلى الأمور بأنها حضارية ذات فلسفية واقعية الى حد كبير بسبب عوامل نفسية واجتماعية مختلفة ، وأن الانسان في البحر يميل نحو مصالحه الشخصية أكثر من المصالح العامة أو المشتركة . وجها حياتنا هما " الرفاهية الإنسانية " حسب اعتقاد أرسطو وهي لا تتطلب شخصية جيدة فحسب ، بل تحتاج كذلك إلى ممارسة الأفعال وتحقيق التفوق . أما الوجه الأخر فهو وجهة المدرسة الفلسفية التشاؤمية الفكرية اليونانية الشهيرة التي اعتقدت أن الهدف من الحياة هو عَيش حياة مليئة بفضائل تتفق مع الطبيعة . بالنسبة لهذا المذهب الفلسفي ، فإن الحياة السعيدة هي الحياة البسيطة المتحررة من الممتلكات الرافضة للرغبة بالثروات والممتلكات والشهرة والجنس . ويبدو أن تفسيراتي من ناحيتي المعنى والهدف ، وفقا للفلسفة المذكورة ، تختلف باختلاف البيئة وطبيعة الفِكر الفلسفي لكل منهما . وبالطبع لا يمكن إنكار وجود قواسم مشتركة أو أفكار متكررة حول حقيقة أن " سبب خلقنا أكبر من أنفسنا نحن " ، أو المساهمة في بناء المجتمع حسب الأمكانيات والقدرات الشخصية ، ومع ذلك هناك مجموعة من الدوافع التي تخلق معنىً وهدفاً لحياتنا وهي : الممارسة الإجتماعية ، وتحقيق الإنجاز بالكفاءة والخبرة ، والمستوى الفكري والتعليمي . "يلاحظ أرسطو في كتابه علم الأخلاق أن كل سعي انساني وكل عمل يتطلبان خيراً ما ، على أنه غاية لهما . فإذا كان هناك عدد كبير من الأعمال المختلفة ، فهناك أنواع كثيرة من الخيرات . بيد أن هذه الخيرات كلها يخضع بعضها لبعض حتى نصل إلى الخير الأعظم . هذا الخير الأعظم في نظر أرسطو هو السعادة"[186] : " أن السعادة هي الخير الوحيد الذي يكتفي بذاته ، إنها الخير المطلق ". ولا نستطيع الإجابة بالضرورة عن تساؤلاتنا الأعمق ، نرواغ فلا تجد مكان لإجابات قاطعة ، بينما هو عند أهل السنة والجماعة إفراد الله تعالى بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، في ذات الوقت لم نكن يوماً نبحث عن إجابات جاهزة تنير دروب التفكير بوضوح أكبر ، وتمنحنا في شكل فلسفي رفقة نستطيع معها البحث وراء ما يشغلنا دون أن نحس أننا وحيدون تماماً إلاّ بالتوحيد الذي ، حتى أولئك الذين يحبون الوحدة تمر عليهم لحظات يرغبون في حبيب قربهم . وبين هذا وذاك نظل نتساءل من أين جاء حبنا هذا ؟ ؛ وظلت خطبة الشاعر أريستوفان[187] الأكثر شاعرية وجمالاً ، وفيها حاول الشاعر الإجابة عن سؤال من أين جاءت حاجتنا إلى الآخر . صورة أسطورية رائعة توحي لك بالألم الشديد الذي يسببه الفراق والشوق : " لم نكن دائما في هيئتنا الحالية حسب أريستوفان ؛ ففي قديم الزمن كان البشر يمتلكون رأسين وأربع أذرع وأربع سيقان ، وضِعف قوة أي منا الآن . خائفاً من قوتهم وتمردهم أمسك زيوس سيفه وهوى على أجسادهم قاسماً كلا منها إلى نصفين . ومنذ تلك اللحظة كُتَب على كل منا أن يعيش معذباً إلى الأبد بحنين لا شفاء منه لنصفه الآخر "[188] .

---

[186] – علي حسن ، جريدو ملاحق الإلكترونية عدد 28 سبتمبر 2021 https://www.almadasupplements.com/view.php?cat=24651

[187] – أرِسْطُفان أو أرِسْطُفانِس (باليونانية القديمةΑριστοφάνης ؛ 446–386 ق.م. تقريبا) مؤلف مسرحي كوميدي يعتبر من رواد المسرح الساخر في اليونان القديمة .لم يبق من أعماله سوى إحدى عشرة مسرحية، وفيها يسخر من كل أنواع البشر بما فيهم الشخصيات المعروفة أمثال سقراط الذي كان يعدّه صديقاً، كانت مسرحياته تغص بالنكات والمبالغات والنقد السياسي اللاذع على الرغم من إلباسها بمهارة فائقة ثوب العبارات الهزلية.

[188] https://www.aljazeera.net/midan/intellect/philosophy

11. - الحب

إلاّ أن للعرب وجهة نظر مختلفة فالمثل القديم يقول : " الحب إذا نُكِح فسدَ "[189] ، وقد ظهرت عنهم موجات من الحب العذري مازال أثرها إلى يومنا هذا ، وعذري منسوبٌ إلى بني عُذْرة وهي قبيلة حجازيّة اشتهرت بالحبّ العفيف التي اشتهر شبابها بهذا النوع من الحب " ألم وعذاب وشعر ولقاءات ولكن بدون زواج ، عفيف، طاهر، مثاليّ، لا أثَرَ للشَّهوة فيه "من ضحايا الهَوَى ، فإذا كانت غاية الحب الزواج فهو متعة وشهوة وليس سعادة ، ولنتأمل سورة يوسف ، يقول الحق : " وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ "[190] ، وحسب الطبري فإن قوله : " قد شغفها حبًّا " ، يقول قد وصل حبُّ يوسف إلى شَغَاف قلبها فدخل تحته، حتى غلب على قلبها . و "شَغَاف القلب " حجابه وغلافه الذي هو فيه ، وإياه عنى النابغة الذبياني بقوله : وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ دَاخِلٌ ::: دُخُولَ شَغَافٍ تَبْتَغِيهِ الأَصَابِعُ ، ولنعد قليلاً إلى الوراء إلى الآيتين 23 ، 24 لنعلم لماذا قالتِ النسوة ذلك . يقول الحق : "وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" يقول الطبري : وغلقت المرأة أبواب البيوت عليها وعلى يوسف ، لما أرادت منه وراودته عليه ، باباً بعد باب ، وقالت : "هَيْتَ لَكْ" ، بمعنى : هلمَّ "أنا" لك فادن وتقرَّب . إذن هي أحبته من أجل شهوةً في جسدها وليس عَلقةً في روحها ، ثم قال الحق : " وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِۚ "[191] . والمعنى لولا أنه كان نبياً معصوماً للبى طلبها . فالحب هو وسيلة لتلبية رغبات الجسم من اتصال بشهوة تفرز هرمون السعادة ، فإني رأيت أنه لا يصلح للزواج ولا يدوم السعادة ، إنما الزواج سكنٌ جسميٌ و روحيٌ ، ومودةٌ ورحمةٌ . يقول الحق : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً "[192] . ، أزواج جمع زوج للذكر والأنثى ، به تستمر السعادة وتدوم كديمومة الوقت وتتراكم كترامه . وربما تجد السعادة أكثر مع أصدقائك من زوجك ، لأن درجات الحب تختلف ، وتشير بعض الدرسات البريطانية على موقع "واي باك مشين"[193] : أن السعادة تنتقل بالعدوى ضمن أصدقاء أو أفراد الأسرة الواحدة لكن ليس بين زملاء العمل[194] . فمن أراد السعادة لا يتزوج ؛ ومن هنا أتسآل : هل نخاف من الخوض في دقائق التحليلات الحياتية الشائكة ، أم عليَّ أن أتجرد فأبتعد عن مشكلات زملائي وأصدقائي وهمومهم وتساؤلاتهم ؟ هل التبسيط خيانةٌ والتعقيد أمانةٌ كمايقال ؟ من المفيد عدم التوقّف عند مثال يبين اختلاف التناول والتحليل والاستنتاج بين ما هو تطبيقي وما هو تجريدي . أعتقد أن الفلاسفة الوجوديين

---

[189]- كانت العرب في ذاك الوقت يخشون تزويج العشاق وقالوا : إن الحب إذا نكح فسد.. وبالتالي إن سلم العشق من احتمال الزواج يصبح من أسمى العواطف وأنبل الأخلاق . لأن العفاف فيه مخالفة لهوى النفس وشهوات الجسد.. وقيل:(من عشق وعفّ وكتم ثم مات ، مات شهيدا)، لأن العاشق يعف نفسه وترتفع اخلاقه لمرتبة الأعمال الصالحةhttps://vb.ckfu.org/t838020.html ، كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين – ط العلمية لابن القيم / الباب الخامس: في دواعي المحبة ومتعلقها ص86، https://shamela.ws/book/11229/83

[190]- يوسف 30

[191]- يوسف 24

[192]- الروم 21

[193]- واي باك مشين) بالإنجليزية(Wayback Machine : هو أرشيف رقمي متجدد للمحتوى الموجود على شبكة الإنترنت بالإضافة إلى معلومات أخرى موجودة على الشبكة، تم إطلاقه في العام 2001 من قبل منظمة أرشيف الإنترنت، وهي منظمة غير ربحية، مقرها سان فرانسيسكو، كاليفورنيا، الولايات المتحدة. تهدف هذه المنظمة لتحقيق هدفها المعلن «وصول عالمي للمعرفة»، تم إعداده بواسطة رواد أعمال الإنترنت بروستر كاهل وبروس غيليات وقامت أليكسا إنترنت بالحفاظ على المحتوى الخاص به، هذه الخدمة تمكن المستخدمين من رؤية الإصدارات المحفوظة من صفحات الويب وتغيراتها عبر الزمن، حيث إن الأرشيف يستدعي ما يسمى «فهرسة ثلاثية الأبعاد».

[194]https://www.aleqt.com/2008/12/05/article_171170.html

الحريصين على إمتاع الناس بالتفكّر الفلسفي وأمثولاته ، أعتقد أنهم أقرب للصواب لأنهم يجتهدون في تحليل المشاعر والشكوك وكل ما يمس أو يعبث بالحدث . أمّا التحليل الذي يقترحه الطرف الأخر ويتخذون "هايدغر"[195] مثلاً ، فإنّهم يجرّدون الحدث من عناصره ومن الاختبارات الشعورية التي تصاحبه ، فيتناولونه في ذاته ويجعلونه بنيةً مجرّدةً من بُنى الإنسان الباحث عن معنى الكائنات ، أو بالأحرى عن معنى كينونة الكائنات كلّها . ومن ثمّ يجدون أنفسهم مُضطرين إلى استخدام اصطلاحات مجرّدة وغامضة على القارئ البسيط ، وإذ تقدّم الفلسفة على هذا النّحو ، فيكون الشّعر أحد الفنون الجميلة التي تعتني بالتحليل النقدي للفن والطبيعة ، ويستطيع الشعر أن يحرر المرء نفسَه من مهمّتها . ومن الناحية النظرية ليس ثمّة من شيء يستعصي على الشاعر ، والمسألة تتطلّب من جانب الفلسفة جهداً من أجل صياغة المفاهيم التي تستوعبها . وبهذا المعنى نرى ما يمكن أن يجنيه الشّعر من كونه يشكّل حالة استثناء . وهكذا يترسّخ الشعر كأسلوب متمرّد على الفكر ليصير نوع من الفلسفة ، ولنا أن نتساءل هنا : هل هذا الأسلوب من التّعاطي قد أثار مشكلة حقيقيّة ، وإن لم تكن الفلسفة في تمشّيها قد اصطدمت بعائق ما وضع شرعيّتها ذاتها موضع السّؤال . حين كانت تحاصرني الأشياء مبعثرة وعشوائية . أكون قد حدّدت مكانتها التي تستحقّ وأعربت عن حقيقتها بعيداً عن فوضى تجلّياتها المتغيّرة ، والشعر لم يزغ عن نظرتي المستقصية أو المحقّقة . والشّعر هو الذي يعرب عن المبادئ التي تستدعي الفحص والتّدقيق الفلسفي ، ليصبح منافس للفلسفة فإنّ ذلك يطرح مسألة مشروعيّته كبديل . أنّ الشّعر يتموضع في حيّز من الفكر يجعل السامع أوِ القارئ يرسم صوراً وإلاّ فليس بشعر ، ولن تتوفّر للشاعر التّوفيق في ما يتوق إليه من نجاح . فما ينتجه الشّعر أي الصورة ، يترجم بالتأكيد عن تمشٍّ محدّد في بحثه عن الحقيقة ، ولكن أيضاً عن إخفاقه في بلوغ تلك الحقيقة . وإن تَحجَّبت الحقيقة عوضاً عن كشفها ، حينئذ يتعلّق الأمر بتصحيح المسار والانطلاق في اتّجاه معاكس نحو الفلسفة لبلوغ الهدف . وقد كتبتُ الشعر حتى اقتنعت أنّ : " كتابةُ الشعرِ مضيعةٌ للوقتِ " . هو الإخفاق المفترض للشّعر وكأنه حلمٌ طائشٌ ! ؛ من الواضح أنّ الإخفاق لا يمكن تخمينه بيُسر وسهولة ، لأنّ النصّ الذي لا يسمح بإدراك البعد العرَضيّ للشّعر . له حضور مجوّف وليس مخفيّ فما بالك بالمقصود به . ولكنّ ما لم أجد له تفسير أن تكون تلك الأهميّة قد ظلّت لفترة طويلة متفلّتة عن انتباهي وتركيزي ، وهو أنّ القراءة كانت تعكس حضور فلسفة قامت باستبعاد الشّعر من حلبة الذات . لقد شعرتُ باحتجاب الشّعر كمنافس في مجال تقصّي الذات ، فصرتُ أبحث عن وجودي في وادٍ أخرٍ ، ما هو إلاّ قلقٍ مُزمنٍ بين الغيب والوجود ، جاء من داخل الأيديولوجيا ومحنة الاقدار ، وانفجار الذات التي تاهت بين مركزي حياتي ، كان ثمّة بالفعل شعر روحيّ يبدو غير جدير بالاهتمام . من كل جانب كانت كانت الطّريق لا تنبئ بوجود مخرج . غير أنّ ذلك الشّعر الذي كان مستلهماً من وجهة نظري وكنت أنظر إليه بوصفه صدى أكثر سريّة وحميميّة في مشروعي العقلانيّ لمعرفة الواقع . ربما رأه غيري موقف مراوغ ومخادع . وما حدث هو أنّ الفكر طفا على السّطح ليكتفي بالمكانة المتواضعة التي تعود إلى الخيال . فبقدر ما كان الفكر يصطدم بمجالاته ، يتخلّى الشّعر عن دوره ككاهن ، ليتولّى دور الخادم . ثمّة عالم مجهول يتفلّت لا محالة عن إدراكنا ، وكانط صاحب الفلسفة النّقديّة هو الذي أقرّ ذلك . إن رسم حدود المعرفة الإنسانيّة بين الظّواهر ، ستظلّ رهينة الإحساس بالمكان والزّمان . فالهدف من

---

[195]– مارتن هايدغر)بالألمانية(Martin Heidegger) 26 سبتمبر 1889 26 – مايو 1976 فيلسُوف أَلَمَّانِي .ولد جنوب ألمانيا، درس في جامعة فرايبورغ تحت إشراف إدموند هوسرل مؤسس الظاهريات، ثم أصبح أستاذاً فيها عام 1928. وجه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود والتقنية والحرية والحقيقة وغيرها من المسائل. ومن أبرز مؤلفاته :الوجود والزمان (1927) ؛ دروب مُوصَدة (1950) ؛ ما الذي يُسَمَّى فكراً (1954) ؛ المفاهيم الأساسية في الميتافيزيقا(1961) ؛ نداء الحقيقة؛ في ماهية الحرية الإنسانية (1982) ؛ نيتشه.(1983)

الشعر إذن أن يكون صدى لما هو مخفي ، وما هو في ذاته ، وفي نفس الوقت يضرب على أوتار التناغم : إنه يتحدث من روح إلى روح إلى العالم الذي لا يحتفظ فيه العلم بالأشياء إلا مع احتمالات تمثيل العالم . في جماليات كانط ، يحتل الشاعر مكانة العبقري ، الذي له نفس الوظيفة مثل جميع الفنانين الآخرين ، لكنه يجسد الأفكار التي لا تلتزم بأي قواعد. وهذا ما يجعل القصيد متى أدرك مستوى الفنون الجميلة ، عملاً فريداً وغير قابل للمحاكاة وما يتوقّف عليه هو . لا شك أن هذا الكلام يبدو مخيباً للآمال ، وربما تسبب للوهلة الأولى في قدر كبير من سوء الفهم . إنه تصورات عامة وتجريدات ذهنية نقلت مواقفي الشعورية والأشكال الجمالية للحياة ، نعود فنذكر بعبارة هيدجر الرائعة « إن أحب الأحباب " أي الشعر والفكر " يسكنان على قمة جبلين متباعدين ، وإن كانا متجاورين » . أدركت أننا في النهاية لا نرسم ما نسكنه بل ما يسكننا ، لا تعتقد أن نهاية الأشياء هي نهاية العالم كان أحد معلِمينا في دورة مدربي الطيران يقول : " لا تقل فاشل وقل لم ينجح بعد " وكان معلمنا في الدراسة الأرضية على الطائرة هيركوليس يقول : " هيركوليس ليست نهاية الحياة ، من يفشل هنا سينجح على الطائرة أخرى " ، أولئك هم العسكر فلاسفة مغيبون خلف الأسلاك الشائكة ، فليس الكون هو ما تراه عيناك . وهكذا تركت كتابة الشعر لأنه ببساطة قد طغى الفكر على الوجدان وخبا توهج العواطف وتلاشت الدوافع ، كنت مغيباً فقلت لنفسي : حسناً أمضيت وقتا ممتعاً مع الشعر ، وهكذا انتهيتُ . فأعطيتُ أبنآئي مئات من كتب الشعر والأدب ، واحتفضتُ لنفسي ببضعة من كتب القتل والتدمير .

12 - ختام

قد تعددت الآراء عن النهايات ، لأن كل نهاية تنتمي إلى زمن ومعرفة وتاريخ ونسق فكري يعبر عن موجة من الكتابات المتتالية والمتراكمة تحمل دالالت ومعان متعددة ، بين ذروة الإكتمال تارة وبين هاجس الأفول تارة أخرى . يبدو أنها لن تقف عند حد معين وصولاً إلى نهايتنا فيصبح الإعلان عن كل نهاية هو في حد ذاته إعلان عن بداية . أي أن النهاية استمرار بكيفية مختلفة ربما لا مبالية أو متناسية لذاتها ، والنهاية من وجهة نظر أخرى معناها بداية التهدئة اللامشروطة للحياة بشكل مستقل لكل الإمكانات التي حُدّدَ فيها التفكير الإنساني ، تختلف ظاهرة " التهدئة " عن أيَّة ظواهر أخرى بصدد هذا اللون من الفكر. فلم تكن لي أفكارٌ كهذه وليدةَ أسبابٍ خارج المادة بل جميعها تمثلُّ (مواقف) داخل حدود موضوع النهايات ذاته وفقاً لرؤيتي ، فكلُّ رؤية جديدةٍ تهدم مفاهيم قديمة وتعيد بناءها مرةً أخرى أو تعرضّها للنقد . أو لعلها وجهة نظر عميقة واعيةً تبحث عما عداها من حيوات . إن " غياب التهدئة " ظاهرةٌ في كيفية تأثير النهاية وهيمنتها . وهذه النقطة وحدُها كفيلة بإفهامنا طبيعة الحياة وآلياتها . إنّ التهدئة التي نبحث عنها في النهايات لا تتوارى أساساً بهذا الشكل المفاجئ . وغيابها يساوي الإمتلاء والحضور . لأنَّها تترك آثارها البعيدة على هيئة أسئلةٍ فكرية تظل مُلحةً وباحثةً عن إجابات شافيةٍ . وأنّ غيابها فلسفياً لا يمثل أرشيفاً لحياةٍ لم تتحقق بعد بوافر زخمها الإنساني . وبما أنَّ الفلسفة غياباً وحضوراً تكشف أبنيتها العميقة لأنها نشاط فكري دالٌّ على كلا الجانبين . ولذلك أقول إنَّ غياب التهدئة يختلف دائماً عما يلي من عناوين : الأول نهاية الفكر وهناك معان لنهاية الفكر لا تماثل جميعها فكرة غيابه والبدائله . والثاني غياب صناعة الفكر ، ولقد كانت فكرة النهاية بالمعنى السابق موصولة بطرف آخر وهو صناعة التفكير الحر، إن حياتي كلها بحسب مبادئ تفكير المتحرر عبارة عن نظرية تحكم رؤيتي ، فإن التهدئة لا تجعلني حراً ، بل تجعلني ذو تكوين فلسفي حراً . وعن طريق هذا التحرر النظري المفتوح ، يترتب عليَ الاستقلال الفكري واعتزال الحياة الإنسانية . فالأزمة التي أمر بها هي "أزمة تواصل" بالدرجة الأولى ناتجة عن حب العزلة الباردة وتصورها المادي الضيق للفكر . هذا التصور يُقصي كل الأسئلة التي تتعلق بالحرية والسعادة، والتي تنتمي إلى الفلسفة بدلالتها الدقيقة ، أي الأسئلة التي هي موجودة في الفلسفة الأولى أو الميتافيزيقا ؛ إن النزعة إلى التهدئة بالعزلة ، في إطار هذا التصور مركب ربما يجعلني في حاجةٍ إلى الفلسفة . نعم ، اختصاراً فإنّ أزمة التواصل لها معنى وثقافة . وأهمّ معنى هو فقدان دلالتها الإنسانية إلى الحياة . والمعنى المغاير هو الأساس في القول بأن التهدئة لا تلوي على شيء حقيقي . ذلك بحكم أنَّ العزلة لا تقول كلاماً مجرداً يمس الأشياء ويمكن ترجمته . فالكلام الممتلئ هو الكلام المعبر عن صخب الحياة مباشرة وعن الواقع وأن تكون هناك قابلية لإختبار صحته أو صحة نتائجه . وذلك طبقاً لما أحمله من قضايا وأفكار لا مجال للتحقق منها بوصفها نوعاً من الثرثرة اللفظية الفارغة من المعنى . أعتقد أنه عليَ أن أُضييق نطاق التهدئة والعزلة داخل إطار محدد . ويحدث هذا إذا أوقفتُ مهمتهما على صياغة الواقع صياغة منطقية ، إضافة إلى أنَّ مهمة الفيلسوف يجب ألَّا تتخطى تحليل اللغة والعلاقات بين المعاني . لأن الفلسفة "هي أن تعرف نفسك ثم تحب نفسك ، وتحب المعرفة ثم تكره النساء" . فقد لاحظت من خلال تحديد ثقافة التجديد أن الفلسفة ليست بيئة عمل جذابة للكتّاب . وكنتيجة للجوانب السلبية ، تلهمنا الحكمة وتعلّمنا أن الإنسان الذي لم يأخذ حظاً من الفلسفة سيعيش حياته سجين الأحكام المألوفة من خلال تصوراته القاصرة ، ومن خلال العادات والعقائد السائدة بعيداً عن أي مُساءلة عقلية . ولأن الفلسفة ، رغم قوة مناعتها ، احتكرها بعضٌ من محترفي زخرف القول ، وسكنوها قوقعةً ، يدعون إلى استعادة دور الفلسفة وإعادتها إلى الشارع وإلى الناس حيث تنتمي ، فأصبحت

صعبة المنال بعيدة المأخذ ومحفوفة بمخاطر الفكر ونواهي الشرع . وأن تكون فيلسوفاً ، يقول أونفري[196] : "يعني أن تتفلسف طوال الوقت" . إلاّ أنني حاولت أن أسعى إلى القبض على التفكير الفلسفي خارج هذه التقاليد . إن الفلسفة نوع من الحكمة وامتداد لها بشكل من الأشكال ، وكلنا يحب الحكمة ولا أحد يدعي أنه يمتلكها . وهي موصولة بالعقل والمعرفة والمنطق ، فمن حق كل متعلم أو مثقف أن يكون فيلسوفاً في مستوىً يمكنه من الدفاع عن رؤيته أو وجهة نظره حتى وإن تناقض مع العقل أو المنطق ، لكن لا يدعي الفلسفة أو يعلقها وساماً على صدره ، ويبقى "مثقفاً" منحازاً لجهة ما بالمعنى الغرامشي، أي مثقفاً عضوياً . ويقال : " أن المثقف العضوي هو من يرتبط بقضايا الطبقة التي ينتمي إليها ، ويساهم في تكوين وعيها وصياغة رؤيتها للعالم وتحديد مهامها ، أما "المثقف الفيلسوف" ومهما رافع دفاعاً عن مصلحة طبقته يظل منحازاً إلى العقل ومبادئه ، فتجده في جبهته الحرة يخوض معركتين : معركة المصلحة ومعركة الحقيقة ، عكس "المثقف السفسطائي" الذي يخوض معركة المصلحة فقط "[197]. أ . هـ ، ومن المؤكد أن الفلسفة ليست من السهولة بحيث تكسب رضا الناس ، والنخب العالمية المثقفة كإشكالية يراوح التعامل معها بين القول بالحاجة إليها ، والقول بزوالها .

وختاماً : فإنّني أحمدُ لله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأُصلّي وأُسلّم على المبعوث رحمة للعالمين الهادي البشير والسراج المنير سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، وبتوفيق من الله تعالى وَمَنِّهِ وكَرَمِه اهتديت إلى عنوان من الفلسفة أحسبه من العنواين العلمية المهمة على مختلف المستويات والتخصصات لما يحمله من جوانب فلسفية مهمة للغاية ، وقد حاولت بجهد الخروج بالعديد من المضامين الجديدة ؛ وحاولت الإجابة على تساؤلات في نفسي لتقييم حقيقي لمعرفة ما إذا كان لدى مجال الفلسفة القدرة على الاحتفاظ بفلسفات متنوعة . فوصلتُ إلى نهاية هذا الكتاب المتواضع وقد أسميته " على عتبات النهار " . وقد حاولتُ قدر المُستطاع تحليل وتفصيل بعض المفاهيم من وجهة نظري الخاصة ، وإنّني هنا لا أُنشُد الكمال في ذلك ؛ فهذا ليس بتخصصي وليس بملعبي ، ولكنني تطفلت على أصحاب الصنعة فأرجو المعذرة ، فلا أبغي تحقيق المُنافسة المطلوبة ، أو التفوُّق في مراحل تالية . إن كان هناك قصور في هذا الطرح ، ونحن بشرٌ في النهاية ، وأدعو الله أن يُوفِّق كُتّابنا في جميع ما يُقدِّمونه من معارفَ تُساهم في تخطِّي السلبيات التي يُعاني منها مجتمعنا ، وصلِّ اللهُمَّ على

---

[196]- ميشال أونفراي بالفرنسية : (Michel Onfray) هو فيلسوف فرنسي معاصر من مواليد 1 يناير 1959 في أورن، فرنسا، يعتبر ميشال أونفراي امتدادًا لفلاسفة ما بعد الحداثة في فرنسا وقد أسهم بصفة جديّة في الفلسفة الفرنسيّة المعاصرة، وهو معروف بغزارة مؤلّفاته التي تُعدُّ بالعشرات. لم يبدأ الكتابة إلا أواخر الثمانينيات، لتتوالى الإصدارت بمعدل كتاب في العام على الأقلّ، فاستحقّ لقب أكثر الفلاسفة غزارةً وظهوراً في الإعلام. كان يحلم بأن يكون سائق قطار فإذا به من أبرز مفكري الجيل الجديد في فرنسا ومن وجوه » اليسار المعادي لليبرالية .« بنى خطابه على فلسفة المتعة، وأعاد قراءة المعلّمين الكبار. يرى أونفراي أنّ الفلسفة فنّ للوجود وأنّ غايتها الوصول إلى السّعادة القصوى عبر المتع الحسيّة والفكريّة. وقد أعاد قراءة تاريخ الفلسفة تحت عنوان «تاريخ مضاد للفلسفة .«Contre-histoire de la philosophie ** يحمل هذا الفيلسوف مشروعًا فكريًا تحرّريًا يطمح إلى إنزال الفلسفة من فضاء النخب الجامعيّة إلى الفضاء العمومي، وقد قام بتأسيس» الجامعة الشعبية «تحت شعار الفلسفة للجميع. هذه الجامعة أسّسها مع أصدقائه عام 2002، لتستقبل كل من يرغب بحضور صفوف في الفلسفة والفن والتاريخ مجاناً، ومن دون أي شروط كالشهادة أو حتى القدرة على القراءة والكتابة!. النجاح الاستثنائي للجامعة الشعبية دفع إلى تكرار التجربة في مدن فرنسية أخرى. أثار جدلًا واسعًا في الأوساط الفكريّة الفرنسيّة بسبب نقده اللّاذع لسيغموند فرويد ودعوته إلى تأسيس تحليل نفسي بعيدًا عن فرويد.

[197]/https://www.afrigatenews.net/article

سيّدنا مُحمَّدٍ، وعلى آله وصحبه وسلِّم . وعلى جميع الأنبياء والمرسلين . آمين . " هذا ما عندي فإن أحسنت فمن الله، وإن أسأت أو أخطأت فمن نفسي والشيطان " .[198]

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَضْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِإِذْنِهِ وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ لَهُ كتابُ " عَلَى عَتَبَاتِ النَّهَارِ " لِـ فَتْحِي إِمْنِيصِيرْ رَاجِينَا الرَّحْمَةَ ، وَ الْغُفْرَانَ مِنْهُ وَ أَنْ نَكُونَ طَائِعِينَ خَاشِعِينَ لَهُ . آمين

[198]- طرابلس يوم الإثنين : 22 رجب 1444 هـ ، الموافق 13 فبراير 2023 سعت 35: 22

قائمة المراجع

1. القرآن الكريم
2. الحديث الشريف
3. أبن خلدون في نظرية المعرفة
4. تفسير ابن كثير
5. ويكيبيديا
6. https://www.kalimaquotes.com/ar/quotes
7. https://www.aljazeera.net/midan/intellect/philosophy سامح عودة
8. ميكيبيديا
9. العلوي رشيد / جريد الشرق الأوسط الألكترونية / عدد 4 فبراير 2016 /
/https://aawsat.com/home/article/559701
10. علي الشنوفي : بحث في تاريخ الفكر الفلسفي 15 أكتوبر 2015 ،
/https://www.facebook.com/philo.31/photos
11. نادي الفلسفة (BAC) المسألة: الإنية والغيرية
12. صحيح البخاري
13. اسلام ويب : /https://www.islamweb.net/ar/article/234010
14. https://ar.wiktionary.org/wiki
15. https://profilbaru.com/ar[1] اليقين
16. -"تفسير السعدي" ص40
17. مدارج السالكين ج2
18. أدب دمهورhttps://historical.yoo7.com/t1181-topic
19. الوصايا التسع في القرآن (الشعراوي) https://amrkhaled.net/Story/1045652
20. https://albiladdaily.com فاطمة نهار يوسف/ مدربة قيم مهارات التدريب على الحياة للأطفال.
21. /https://e3arabi.com/author/randa-okashah رندا عكاشة
22. العقلانية الديكارتية :الدكتور علي الشنوفي
23. https://www.alukah.net/sharia

24. https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=699934
25. د. مُحَمَّد حسين اليوسفي"السيرة الذاتية لا يوجد توصيف".https://www.albayan.ae/opinions/articles/2012-05-24-1.1655545
26. الألباني (ت 1420)، تخريج كتاب السنة 956
27. الألباني (ت 1420)، جلباب المرأة 33 / أخرجه البخاري بمعناه
28. الشوكاني (ت 1255)، فتح القدير 635/1 صحيح
29. السيوطي (ت 911)، الجامع الصغير 2545 صحيح
30. https://amrkhaled.net/Story/
31. [1]https://www.alazmenahمجلة الأزمنة عدد 31 مارس 2021 / د. مُحَمَّد النغيمش
32. https://www.islamweb.net/ar/fatwa/431932/ إسلام ويب
33. https://www.hekams.com/?id=16154
34. ابن الجوزي. الأذكياء. ص 6 .
35. الجرجاني. كتاب التعريفات. ص 143
36. https://www.islamweb.net/ar/fatwa/431932/ إسلام ويب
37. https://e3arabi.com/islam
38. بديع صنيج : الأخبار الإلكترونية عدد 22 شباط 23
39. [1]https://www.sudaress.com/hurriyat/1334 من أشهر المؤلفات التي تناولت لحظات جنون الأدباء
40. https://www.facebook.com/AnsarSociologey/posts/719578842184402/ .
41. لطائف المعارف 305 " ذكره مالك في الموطأ بلاغا "
42. الدكتور عبد الله دراز في كتابه " الدين " . دار القلم : الكويت 1982. ص: 34
43. عبد الله العروي : مفهوم الأيديولوجي
44. America([2]) .، waeds worth publishing company 1987:p397
45. الطبراني (ت 360)، المعجم الأوسط 224/1
46. هنري برجسون / التطوّر المبدع ص 16
47. فرصة https://www.for9a.com/learn

48. علي حسن ، جريدو ملاحق الإلكترونية عدد 28 سبتمبر 2021
https://www.almadasupplements.com/view.php?cat=24651
49. ، كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين – ط العلمية لابن القيم / الباب الخامس: في دواعي المحبة ومتعلقها ص86،
https://shamela.ws/book/11229/83
50. https://www.aleqt.com/2008/12/05/article_171170.html
51. /https://www.afrigatenews.net/article

الفهرس

التسلسل	الموضــوع	الصـفحة
1	بين العقلانية والمنطق	2
2	الروح	25
3	النفس	28
4	المرأة	31
5	الوهم	36
6	الجنون	43
7	جدلية الأخلاق والدين	46
8	جدلية الدين والأيديولوجيا	55
9	ثنائية الموت والحياة	60
10	أنا	63
11	الحب	67
12	الختام	70